يوسف إدريس

العـــيب

Looloo
www.dvd4arab.com

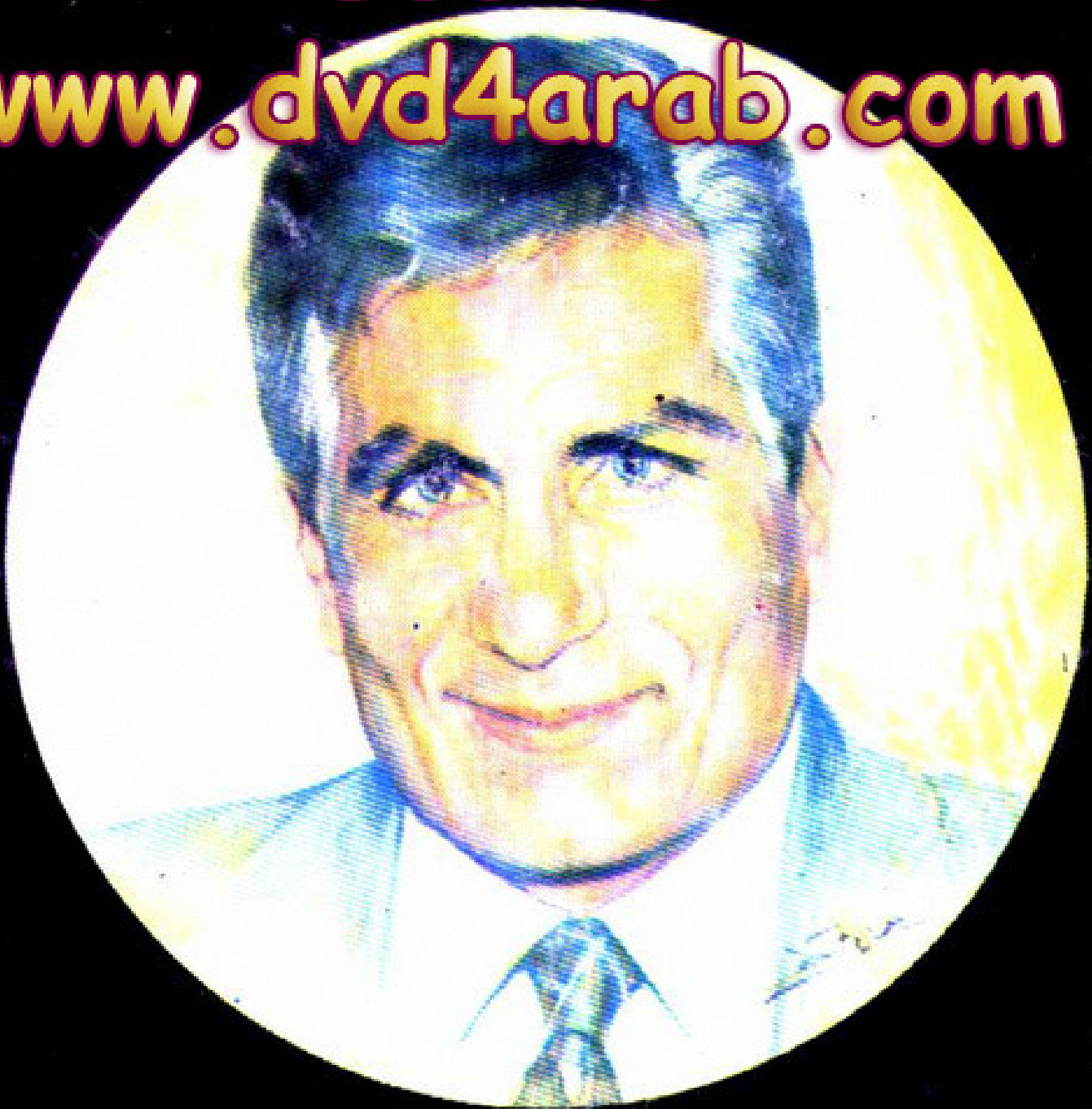

- ١ -

ثلاث مرات فى تاريخ المصلحة ازدحمت مثل هذا الازدحام ، يوم توفى سعد زغلول ونعـــاه الناعى ، ويوم طرد الملك ، واليوم الذى عينت فيه سناء ، ففى نفس ذلك اليوم تم تعيين خمس من زميلاتها الناجحات فى المسابقة وفى نفسه أيضا انقلب المستحيل حقيقة ، وانقلبت المصلحة سوقا ، أرخص ما فيها الكلام ، بل لا شىء فيها غير الكلام . المصلحة من يوم انشائها والعاملون فيهـا رجال فى رجال ، الرجال هم الذين أنشـــأوها ووضـــعوا لها اللوائح والقوانين ، وهم الذين تونوا طوال تاريخها التنفيذ ، وهم الذين بنوها ، طوبة طوبة ، ورسموا التقاليد ، رجال ، كلهم رجـــال ، حتى يشيخ منهم جيل ويودع العمل يحل محله جيل جديد ، شبان صغار بآراء جديدة ودم جديد ولكنهم مع ذلك أيضا رجال . ربمـا لهذا لم يصدق أحد البتة تلك الاشاعة التى سرت ذات يوم وقالت ان النية قد اتجهت الى تعيين « بنات » .. كيف يصدقها أحد والمصلحة من يومهـــا ، ككل مصلحة وكر رجالى لا تسـمع فيه الا أصواتهم وشكاياتهم ولا تشم فيه سوى روائحهم ووقـع خطواتهـم طالعين هابطين، دارسين لأسرار العمل العظمى والكادر وأمزجة الرؤساء .

Looloo
www.dvd4arab.com

ولم تكن استحالة التصور تحيزا ضد المرأة ولكنها استحالة أن يعتقد أحدهم أو يهضم أن تستطيع فتاة أو سيدة ما فى الوجود أن تجد لها مكانا داخل هذه المؤسسة الرجالية الخالصة .. تماما كما لا تستطيع أن تتصور أن توجد فتاة أو سيدة فى جناح الملابس الداخلية الخاصة بالرجال مثلا ، فهنا مكان رجالى مزدحم لا بحكم اللوائح ولكن بحكم الكتلة ونوع الكتلة وكتلة الكتلة ، تماما كما لا تستطيع أن تتصور وجود لوزة سوداء مع لوز القطن الأبيض أو وجود رجل أى رجل فى مكان خاص بالسيدات مهما كان السبب فى تجمعهن ، وحتى لو كان سببا لايمت الى الجنسين بصلة ..

لهذا فالاشاعات حين سرت قبل بضعة شهور عن اتجاه النية لتعيين بعض الفتيات فى المصلحة لم تقابل بأى تعليق على الاطلاق ، وأى تعليق بامكانك أن تدلى به لو قالوا مثلا أن النية متجهة لتعيين أطفال للتدريس فى مدارس روضة الأطفال .

الضجة لم تحدث الا حين ذهبوا الى عملهم ذات يوم كالمعتاد ، لا بهم ولا عليهم ، فوجدوا فى أكثر من حجرة من حجرات المصلحة فتيات ، وأكثر من هذا وجدوا قرارات بسرعة قد كتبت على الآلة الكاتبة فى أقسام المستخدمين ، ومكاتب ، جديدة ، وخطان تحت جديدة هذه .. أعدت وجلست عليها الفتيات .

ولا يهمنا ما حدث فى الحجرات الأخرى ، يكفى جدا أن نختار مكتب التصاريح الذى قدر أن تعمل به « سناء » من بين الخمس فتيات اللاتى عين كدفعة أولى ، وخطان تحت أولى هذه .

يومها وبعد ما بقيت فى الردهة فترة ، تسأل عن محيى أفندى الذى قيل لها أن تذهب اليه وبالورقة التى معها ، وفى الطرقة الطويلة نسيت اسمه ، ووقفت حائرة تسأل الساعى الجالس فوق كرسى واضعا ساقا على ساق ومن تحت شاربه الكث غير المشذب

تخرج كميات هائلة من الدخان أكثر بكثير من التى يجذبها تباعا من السيجارة النحيفة التى لا تكاد تظهر بين أصابعه . تسأله عن حلمى أفندى والساعى يحتسى القهوة من الكوب الزجاجى الرفيع باستمتاع ويؤكد لها أن لا أحد فى قسمهم له هذا الاسم ، وبعدها تحايلت على التذكر بأن طلبت منه فى لباقة ، وبابتسامة لجأت الى أنوثتها كى تجعلها ساحرة ، أن يعدد لها أسماء الموظفين ، وتفعل الابتسامة فعلها ، ويكر الساعى الاسماء وبهذا وحده تعثر كالغريقة على اسم محيى أفندى ، وبعد قليل تعثر عليه شخصيا ويدخلها الساعى له ، وهو لا يعلم من تكون ، بل وكان يفقد عقله وظل أكثر من ربع ساعة يضرب كفا بكف ، لا تدرى لماذا ، حين عرف أنها موظفة جديدة عينت فى المكتب ، ولا يصدق ، ولا يصدق حتى وهو يقطع احتساءه للقهوة ويحمل لها على كاهله من المخزن مكتبا جديدا أنيقا ، ويضعه كيفما اتفق فى حجرة الموظفين ذات الأربعة مكاتب ، ويعانى الأمرين وهو يضعه وكل منهم يشير عليه أن يضعه فى مكان ، والمشير والمشار اليه لا يزالان غير مصدقين أو مقتنعين أو مؤمنين بأن ما يدور أمامهما وأمام الآخرين حدث حقيقى سيظل موجودا غدا مثلا وبعد غد والى وقت القيام بالأجازة السنوية . حتى حين استقرت سناء على مكتبها الذى جاء وضعه فى أسوأ مكان فى الحجرة ، فالحجرة لها أربعة أركان ، وكل موظف فيها قد اختار له ركنا تشبث به واحتمى واحتله احتلالا أبديا ، وكل ما يميز ركن الباشكاتب ، رئيس الثلاثة أن مكتبه أكبر قليلا ومتقدم قليلا بحيث يواجه الداخل الى الحجرة . المكتب الجديد وضعوه هكذا بجوار الباب مباشرة ودون أن يتنازل أيهم ويزحزح مكتبه حتى بدا وضعه نشازا وبدا وكأنه متطفل على الحجرة ، فللحجرة أربعة أركان ، وفيها أربعة مكاتب قائمة وثابتة ومشغولة ، ما حاجتها الى موظف أو موظفة جديدة أو ركن خامس . ولم تكن هذه كل سيئات الوضع الجديد للمكتب ، فبوجوده بجوار الباب يعرض الجالس عليه ،

Looloo
www.dvd4arab.com

أقصد الجالسة ، للخبط كلما فتح الباب ، حتى حين حاولت سناء جهدها أن تعدل من الوضع بحيث يتلقى مكتبها أقل الخبط ، باءت جهودها بالفشل ·

كل هذه تفاصيل صغيرة ، وغير مهمة ، فالمهم أن الساعة ما كادت تشرف على التاسعة حتى كانت سناء قد استقرت تماما على كرسيها ووضعت يديها أمامها فوق المكتب الجديد كعادتها اذا جلست الى ترابيزة لجنة الامتحان قبل توزيع الأسئلة · كانت تنتظر ما سوف يعهد اليها به من عمل فهى لم تنم ليلة الأمس الا نادرا وقضت الساعات الطويلة تحلم بما سوف يحدث فى الغد ، بتفاصيله الصغيرة حتى ، كانت تحلم بدخولها المكتب ، برئيسها ، بالطريقة التى تقابل بها زملاءها ، ثم أخيرا بالعمل · لم تكن تعرف بالضبط ماذا ستعمل ولكن أحلامها ظلت تدور فى غموض مثير حول هذه النقطة بالذات ، ويدق قلبها بالانفعال ، وكأنها ستزف الى العمل مثلا ، الى ذلك الشىء الغامض المحير الذى له رائحة الرجال وملامحه جديتهم وصرامتهم ، مهما كان فهى تريده وها هى ذى تحلم وتتلوى وتحتضن المخدة مفكرة فيه محاولة أن تتخيل نوعه ووقعه وأهميته وتصرفاتها ازاءه ·

وحين جاء الصباح أخيرا ، وتم كل شىء ، تقريبا كما تخيلت لاتزال ، برغم وجودها فوق كرسى وأمام مكتب وفى حضرة رئيس وزملاء ، تحلم ، وتتصور ، وتبتلع ريقها مرارا ، فى انتظار ما ستتكشف عنه اللحظات القليلة الخطيرة المقبلة ·

- ٢ -

اللحظات القليلة المقبلة لم تتكشف عن شىء بال بالنسبة لسناء ، الحقيقة تكشفت عن أشياء بالنسبة لزملائها الموظفين اذ فى ذلك اليوم ، ورغم مضى ساعة على بدء العمل ، لم يبدأ العمل ، وان وجد كل منهم نفسه مشغولا بترتيب أوراق والتحدث الى الرئيس الباشكاتب فى مسائل تتعلق بالعمل مستعملا فى حديثه اصطلاحات وتعبيرات تكنيكية خاصة مدسوسة من عمله ، ولكن أحدا منهم ، حتى الباشكاتب نفسه لم يكن قد فكر لثانية واحدة فى العمل · وفى الفترات التى كانوا يكفون فيها عن التفكير فى العمل ، وهى ليست قليلة بالمناسبة خلال اليوم الواحد ، كانوا فى العادة يتحدثون عبر المكاتب ويتناقشون · فى تلك الساعة لم يعملوا ووجدوا أنفسهم غير قادرين ، لسبب ما ، على التحدث عبر المكاتب كما اعتادوا ، لا لوجود سناء أو خجلهم منها ، ولا لأى سبب معلوم ، كل مافى الأمر ان أمنية كل منهم كانت قد تركزت دون أن يشعر حول أن يتاح لهم أن ينفردوا بأنفسهم قليلا ، ليعودوا أربعة مثل ما كانوا حتى يصبح باستطاعتهم التفكير أو الحديث · وأيضا لم يكن يعرف أى منهم بالضبط ما يريد قوله ، أشياء كثيرة يحس بها ولكنه لم يكن يعرف بالضبط ما هى أو كيف يعبر عنها ، وحتى تلك اللحظة لم يكن أى

Looloo
www.dvd4arab.com

منهم قد القى نظرة متطلعة أو متعمقة الى زميلتهم الجديدة ، ولا حتى رأى ان كان شكلها يعجبه أو حاول معرفة اسمها أو ماذا ستقوم به من عمل ، كان يؤجل هذا كله الى أن يعود نفسه أولا ، أن يمسك بزمام كيانه ليستطيع أن يتكلم أو يرى أو يسمع أو يعرف • كل شيء ظل يؤجله الى أن تغادر القادمة الجديدة الحجرة ولو حتى للحظة •

ولكن سناء لم تغادر الحجرة ، بل وكانت هي الأخرى لاتستطيع أن ترى أو تسمع أو تحس بما حولها وان كانت لا تزال جالسة ويداها فوق المكتب وعقلها فى حالة سكون تام فى انتظار أن يقول أحد له تحرك ليتحرك • خيالها فقط هو الذى كان يتحرك ، وحتى لم يكن يذهب بعيدا ، كان يتحرك (محلك سر) ، يترقب العمل ، يترقب أن يعرف أخيرا هذا الشيء المجهول الذى تعبت سناء وأتعبت أهلها معها وتعلمت ونجحت ليتاح لها أن تأتى الى هذا المكان وتعرفه •

وفقط حين انتقل عقرب دقائق الساعة المثبتة فوق رأس الباشكاتب الى علامة النصف بعد الثانية (فالساعة كانت ثمة خمس ساعات فرق بينها وبين التوقيت المحلى للقاهرة حين تحرك العقرب ليشير الى التاسعة والنصف) ولم تتحرك سناء أو تغادر الحجرة ، بدأ الأربعة يتململون ولم يعد باستطاعتهم الصبر • واستأذن أحمد وخرج ومالبث شفيق أن تبعه ، والتقى الاثنان على الباب ، وقبل أن يحدث أى شيء آخر وجدا أنفسهما يقهقهان ويتصافحان بعنف وكان أحدهما قد انتهى لفوره من القاء نكتة أعجبت الآخر وجعلته يتطوح ويتلوى « ويدق » على كف زميله مرة ومرات •

قال أحمد :

ـ شفت ياعم ؟ •

وضحك شفيق وهو يأخذه من ذراعه ويبتعد عن الحجرة حتى لاتتسرب ضحكاتهما الى الداخل • ولم يذهبا بعيدا ، فقرب البوفيه وجدا اسماعيل وصفوت وأبو النجا من قلم المراجعة فى حالة مؤتمر ضاحك • دخل عليهم أحمد بقامته الرفيعة الطويلة وصديريه الذى يتهدل من ناحية ويبدو فى هذه الناحية بالذات أوسع من صدره وقميصه ، وطوق صفوت واسماعيل بذراعيه قائلا :

ـ شفتوا اللى حصل ! •

ـ دا احنا لسه كنا بنتكلم •

ـ كفك على كده •

وتصاعدت من الخمسة قهقهة غطت على كل الضجة الصادرة من البوفيه ، قهقهة انزعجت لها لابد أبنية المصلحة العالية الوفورة وما لبثت الطرقة والصالة وحجرة الموظفين فى قسم الأرشيف ، الوحيدة التى بقيت على حالها رجالية محضة ، أن امتلأت بموظفى المصلحة وكأنهم فى حالة فسحة أو اضراب ، جماعات متفرقة وشلل وأقسام بأكملها على هيئة مؤتمر • وحتى حجرات الرؤساء ذات السجاجيد كنت تجد بعضهم قد سعى الى الآخر وطلب القهوة ، وجلس ، وبدأ الحديث •

فى تلك الساعات الأولى من اليوم الأول لم تكن الآراء محددة ، بل لم تكن هناك آراء على الاطلاق ، ضحكات وقهقهات كنت تجد ، تريقة ، كنت تجد ، لا على الموظفات الجدد ، ولكن على أنفسهم ، أو على وجه أصح على الضعفاء منهم وبالذات تلك النماذج الغلبانة التى ليس باستطاعتها التريقة أو قول النكات • وأحدهم يقترح على عم فرج موظف الخزنة أن يذهب ويبحث لنفسه عن عمل آخر اذ هم فى الطريق الى فصله من عمله بسبب شكله القبيح وتعيين موظفة

Looloo
www.dvd4arab.com

خزنة من طراز مارلين مونرو . والنكات تنهال على الحاج ابراهيم الفراش ذى اللحية .. بكره الست تبعتك تشترى خضار يا حاج .. واللا ترضع النونو ... ومين عارف يمكن تقصدك مرة ترجع الكورسيه ... وذلك الذى يقترح على متعهد البوفيـــه أن يفتح فاترينة للروج والريميل ، الى آخر ما اســتطاعت عقول الموظفين ابتكاره من أبواب القافية والتنكيت .

وفى طواف أحمد وشفيق بالمصلحة ، والمصلحة كلها كانت فى حالة طواف ببعضها البعض ، التقيا بالباشكاتب ، وسلما عليه بحرارة وكأنهما يقابلانه بعد سفر . وهو الآخر أخذهما بالاحضان وكأنه نجا لتوه من حادث . وقال له أحمد :

– هيه ... ايه رأيك ! .

– قالوا اللى يعيش ياما يشوف .. وياما لسه حنشوف .

واكتشف الثلاثة بعد برهة ان (الجندى) ليس موجودا فى طرقات المصلحة ولا ردهاتهـــا وانه لابد قد عسكر فى الحجرة لم يبرحها وزمانه فى تلك اللحظة هو و (السبت) وحدهما . وان يترك الجندى مع سيدة بمفردها فى حجرة تقابل عندهم أن يترك المراهق مع سيجارة ، أو المراهقة مع تليفون ، وضـــع ينذر بكارثة محققة .

- ٣ -

وليس لهذا الأمر وحده عادوا جميعا الى الحجرة . كانوا بعد ما شبعوا ضحكا وتهليلا وأفرغوا كل ما عندهم من نكات قد اكتشفوا أن أحدا منهم أو من غيرهم ممن كتب عليهم أن يرزؤا بفتـــاة من الفتيات الخمس ، لم يكن قد رأى (الست) أو تفرج عليهـــا . اكتشفوا ان انفعالهم كان لمجرد الخبر فقط ، مجرد الخبر المؤكد الذى ليس اشاعة او نية أو اتجاها ولكن حقيقة واقعة أصبح لها مكاتب وصدرت من أجلها قرارات . أليس من الواجب أن يروا كنه تلك الحقيقة ويتأملوها ! .

وصح ما توقعوه . فما ان فتح أحمـــد البـــاب وتراجع ليدخل الباشكاتب أولا حتى تناهى الى سمعهم صوت محمد الجندى الأخنف قليلا ويقول :

– يعنى لسه ماتشرفناش باسم حضرتك .

ولأول مرة يتعالى فى حجرتهم صوت حريمى يقول :

– ســـناء .

يقولها فى خجـــل متلعثم سريع لا يليق بزميلة . هنـــا تلكأ الباشكاتب فى الدخول وبقى الباب مفتـــوحا ، وجاءهم صوت محمد الجندى مرة أخرى يقول بطريقة ليست غريبة عليهم :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ تشرفنا ... أهلا وسهلا ... ثناء وانت صحيح ثناء .

ـ أنا اسمى سناء .. سناء بالسين ..

والى هنا لم تحتمل الأعصاب وهجم الثلاثة داخلين فى كتلة مندفعة ذات ثلاثة أحجام مختلفة ما لبثت أن انقسمت وتمكتبت ، وصوبت ستة أزواج من العيون التقت كالانوار الكاشفة النهارية على وجه محمد الجندى وكأنما لتضبطه وتصب عليه ستين زوجا من اللعنات ، لعنات الباشكاتب معروفة بترفعها واحتقارها لأساليب الجندى ، ولعنات أحمد الطويل فيها قرف من لزاجة الجندى المعهودة ولعنات شفيق لم تكن فى حقيقتها لعنات ، كانت مجرد تأنيب ، دقيق ، كامضائه ، لا تتبينه بسهولة كتأشيراته كآرائه فى الناس والحيـــاة .

وفعل كل هذا فعله فى الجندى فما لبث أن اختفى وجهه عن الأنظار اللاهثة الكاشفة وانكفأ يكتب ، أو على الأصح يحرك القلم على هيئة كتابة .

ولكن الأنظار ظلت مسلطة عليه . وكأنما لتتأكد من صـدق توبته . ثم ما لبث فى أزمنة متفاوتة وبسرعـات متفاوتة . وتردد وأدب ، وقلة أدب ، وقوة أبصار ، متفاوتة أيضا ، أن استدارت الى (الست) تتفحصها وتحلل ملابسها الى عواملها الأولية وأثمانها . ووجهها الى أنف وعيـون ونوع بودرة وطريقة تصفيف شـعر ، وحذاؤها الواضح من تحت الكعب لتحدد الى أى الطبقـات الاجتماعية تنتمى ..

والظاهر انهم اندمجوا فى الاستطلاع والتحليل الى درجة لم يشعروا فيها بعيون محمـد الجندى وهى تنضم الى وليمة العيـون بلا حرج ولا تكليف وبطريقته الذئبية اللزجة الخاصة .

وغير مهم الزمن الذى استغرقته عملية الفحص ، فهم وان كانت مشاربهم وشخصياتهم وأهواؤهم مختلفة متباعدة الا انهم جميعا ، بما فيهم الجندى ، خرجوا برأى واحـــد ... الواضح ان الزميلة العزيزة جميلة التقاطيع ، مسمسمة ، سمراء قليلا ، ومن كل أدوات الزينة لا تستعمل سوى الروج ليس غامقا كالسمراوات حين يضعنه ولكنه روج مؤدب هو الآخر ليس هدفه أن يبرز جمال الشفاه انما هدفه فقط أن يدل على وجودها ويحددها . وكان واضحا انها ليست مؤدبة فقط ولكن أدبها من النـوع الذى لا يمكن التحول عنه فهى لا تستعمله لانها مع رجال مثلا أو تخاف على سمعتها ، ولكنه أدب حقيقى نابع من طبعها .

غير أن الجندى لم يفته أن يلاحظ أنها قد طلت أظافر قدميها بالمانيكير ، وقد أسعده اكتشافه هذا سعادة لا توصف فهـو فى نظرته لجنس النساء عامة كان دائما يحاول أن يجد فيهن أو فى شخصياتهم ما يسميه هو بعلامة « الرضاء المواربه » وسناء كان من الواضح انها من النوع المحصن المغلق الحصين ماعدا هذا الطلاء الذى لا يكاد يرى فى أصابع قدميها .

لعـل وعسى يصلح علامة للرضـاء المواربه .. من يدرى .. لعل وعسى .

١٥
Looloo
www.dvd4arab.com

- ٤ -

فى حوالى الحادية عشرة بدأت تحدث فى المصلحة ، وعلى نطاق أضيق حركة تجوال أخرى وتطواف ، هدفها تكوين فكرة ما عن الموظفات الجديدات ·· واثنان من موظفى الحجرة هما اللذان خرجا هذه المرة ، كان أولهما محمد الجندى الذى اتجه فورا الى ادارة التفتيش حيث قد سمح عرضا من الساعى أن الموظفة التى عينت هناك مثل « المهلبية » · فعلا وجدها كذلك ، وبطريقة تسيل اللعاب ، فقد كانت تبتسم على الفاضى والمليان ولكل من هب ودب وتحادث كل راغب فى الحديث وكل شوية وشوية تمد اصابعها بسرعة لتطمئن على « القصة » وتفرد شعراتها أو تجذبها الى أسفل لتعيدها الى وضعها فوق جبهتها · ولكنه أيضا لم يتوقف كثيرا فى ادارة التفتيش فقد كان عليه أن يطوف بالمكاتب الثلاثة الباقية لتكون فكرته من الزميلات الجديدات كاملة ومبنية على أساس من المشاهدة الشخصية التى لا تقبل الجدل ·

وأكثر من « جندى » كنت تجدهم كذلك ، وأكثر من جماعة تكونت أعضاؤها من السعداء الذين عينت فى أقسامهم فتيات يتبادلون الرأى حولهن ، ويقارنون بينهن ويختلفون حول أيهن تتوج ملكة الجمال على الخمس وأيهن أكثر أناقة ، ومن ملكة

السيقان · ولم يخل الأمر من جماعات مشتركة من سعداء الحظ وتعسائه أولئك الذين ظلت مكاتبهم رجالية خشنة · فى تلك الجماعات وبعد أن كان أعضاؤها ينتهون من التحسر أو التفاخر كان يبدأ حديث ما عن المستقبل ، وبالذات عن مستقبل هؤلاء الفتيات · وعند هذه النقطة كانت تتفق آراء الجميع على أنها مسألة أيام ، فهن قد نجحن حقيقة فى اقتحام ذلك المعقل الرجالى واغتصاب مكاتب بقرارات ولكن المشكلة ليست فى الاقتحام · المشكلة فى الصمود ، فى العمل نفسه ، فمما لا شك فيه ولا نقض أنهن لن يستطعن بأى حال أن يمارسن العمل ، لا لصعوبته ولكن لاحتياجه الى عقلية الرجل وتصرفه وشخصيته · وهكذا كان أكثر المتفائلين تفاؤلا لا يعطيهن سوى شهر واحد مهلة بعده ستضطر المصلحة حتما لأن تطلب نقلهن الى أعمال أخرى فى الوزارة أو حتى خارج الوزارة كلية ·· والدلائل كانت تشير الى أن شيئا من هذا وشيك الحدوث فالمصلحة لتلك اللحظة حائرة لا تعرف ماذا تعهد اليهن به ، والفتيات لا يزلن جالسات لا يفعلن الا الانتظار بينما موظفة التفتيش نادمة على انها لم تحضر معها الابر والتريكو اذ كان باستطاعتها خلال السبع ساعات التى قضتها جالسة تنش الذباب أن تنتهى بسهولة من البلوفر الذى بدأته ··

يومها ، ذلك اليوم الأول عادت سناء الى البيت باحساس تلميذة أولى ابتدائى حين تعود بعد أول يوم دراسى فى حياتها ، وكل ما داعب خيالها من أحلام حول الدراسة قد تبخر أثناء جلستها الطويلة على المقعد بلا حصص ولا كتب جديدة ولا مسائل حساب ·

ولكن ذلك كان فى اليوم الأول فقط · فما كاد يمضى يوم آخر الا وسناء قد وجدت نفسها غارقة فى العمل ، ضائعة مشتتة ، وكأنها تقرأ أسئلة امتحان جاءت كلها خارج المقرر · لقد ظل الباشكاتب يشرح لها ما يجب عليها عمله أكثر من ساعة ويسألها بعد نهاية كل شرح ان كانت قد فهمت فتهز رأسها بالايجاب · ولكنها حين

Looloo
www.dvd4arab.com

يعهد اليها بالموضوع على سبيل التجربة تجد كل ما قاله يطير من عقلها ويتشتت ، وتجد نفسها عاجزة عن تنفيذ ما طلبه أو فهمه ، تحدق فى يأس قاتل ناحية أحمد وشفيق وحتى محمد الجندى وتجدهم جميعا منكبين يعملون بسرعة وببساطة فتكاد تبكى وهى تحس بهم عباقرة مشتعلى الذكاء وبنفسها غبية حمقاء لا يمكن أبدا أن يأتى عليها يوم يصبح لها فيه نفس قدرتهم الخارقة تلك ·

والغريب انها بعد بضعة أسابيع ، حين أدركت ان كل المعميات التى كان مطلوبا منها أن تنجزها لم تكن تتعدى تحرير التصريح وتتبعه حتى يختم بخاتم المصلحة ، كانت تضحك على نفسها ولختمها · ولكنه شىء لم يحدث الا بعد بضعة أسابيع ، أما فى تلك الأيام الأولى فحدث ولا حرج عن العرق والمنديل الصغير وهو ينتقل فى سرعة واضطراب كمنديل الحاوى المبتدىء من باطن احدى اليدين الى الجبهة ، والخجل المشل للقلب المعشى للبصر · والدموع ، الدموع الداخلية غير المرئية التى لا تنى عن سكبها فى المصلحة ، والدموع الظاهرة التى تتفجر بارادتها فى البيت · حالة ليتها كانت تملك معها القدرة على الرثاء لنفسها · فالعكس هو الصحيح اذ كانت لا تكف عن لوم نفسها رغم كل هدهدات الأم ومحاولاتها للتخفيف والتبرير ، رغم كل ابتسامات زملائها فى الحجرة والعمل ونظرات الاشفاق التى يغمرونها بها حتى لا تتعثر فيها وتكاد تنزلق ، رغم صبر الباشكاتب وطول باله واحتماله لها وهى تكرر الخطأ نفسه مرة وتحاول بعناد أن تتلافاه فتجد نفسها تكرره مرة أخرى ، وأية أخطاء ! أخطاء تصل الى انها ، وهى خريجة التجارة تجد نفسها أحيانا عاجزة عن تحويل المبلغ المرقوم أمامها الى مبلغ مكتوب ، وتشك وتخاف ألف مرة قبل أن تضع العلامة العشرية ·

ولكنها الأيام الأولى ، كاية أيام أولى ، كان يجب أن تمر وتحمل معها كل الذكريات المحرجة الأليمة ومواقف الاعتذار وعشرات المرات

التى حدثتها نفسها فيها أن تفر وتترك العمل ، ومئات المرات التى يئست فيها تماما وفقدت الأمل ، كان يجب أن تمر لكى تصل سناء الى المرحلة التى أصبحت تجتازها بنجاح ، مراحل الفهم الأولى والاحاطة بالثغرات ، والمزالق ، تلك التى تشبه مرحلة الانطلاق فى تعلم ركوب الدراجات ، المرحلة التى يصبح فى مقدرة المرء فيها أن يبدل ويسير دون أن تسقط به الدراجة بعد بضعة أمتار ·

ونفس الشىء حدث لكل ما هو خارج العمل وعلى هوامشه ، فزملاؤها فى الحجرة الذين كانوا يبدون لها ، رغم كل ما بينهم من اختلافات ، متشابهين الى درجة لا تملك التفرقة بينهم ، كانت قد استطاعت أن تحفظ أسماءهم ، وحتى نوع العمل الذى يؤديه كل منهم ، أكثر من هذا ، بعض خصاله · ولقد اطمأنت لهم جميعا ، وفى وجودهم لم يكن جهاز رادارها الأنثوى ينقل اليها أية نوايا ذكرية خافية ، جميعا ما عدا الجندى ، فقد كان الجهاز الكامن فى أعماقها يدق كلما حاول أن يقترب منها أكثر من اللازم ، كلما فضل الا يتنحى جانبا ليفسح لها طريق الخروج ، كلما اتكأ بمرفقه على مكتبها وهو يحادثها حديث عمل فى الظاهر ، بينما عيونه التى يتأرجح لونها بين الصفرة والخضرة تجوب سطح المكتب ويديها ، وتتأمل عقل أصابعها وخاتمها وجلد رقبتها وكل ملليمتر مربع من شفتيها ، فى فحص وقع خرب الذمة لا يرده عن تصور أى شىء قد يخطر بباله وازع أو خجل · ولكنها لم تكن دقات خوف ، على وجه أخص خوف أنثى من ذكر ، أو فتاة من رجل يطاردها ، كانت دقات اشمئزاز واستنكار ، فلا أحد ممن تضمهم الحجرة كان قد راق أو استوقف عينيها ، خاصة الجندى ، فلا شكله كان عجبها ، ولا طريقته فى معاملتها ولا علاقته بزملائه ولا أى رأى قاله أو كلمة خرجت من فمه · حتى عادته فى تدخين سجائره نفرت منها . فقد كان يبتلع النفس ثم يفتح فمه ويترك الدخان يخرج منه وحده دون أن ينفثه أو يبذل جهدا فى اخراجه فكان يبدو وكان الدخان الخارج من فمه

Looloo
www.dvd4arab.com

مجرد رائحة منفرة خارجة على هيئة دخان ، كان فى بطنه عقب سيجارة تركه أحدهم لينطفىء وحده ويخنق أنفاس المحيطين برائحة شياطه • وهى لا تدرى لماذا حرص كل من زميليه الآخرين أن يخبرها ، خلسة ، عن حياة الجندى الزوجية الخاصة ، وكيف أن له زوجتين والثالثة تقاضى منها ثمن الطلاق •• وكم استبشع عقلها الذى كان لا يزال بناتيا حالما فى آرائه كل ما سمعت وكم أصبح الجندى فى رأيها بشعا الى درجة تتقزز فيها من مجرد أن تراه يقطع عمله ويتحدث ، أو يضحك ، أو يروى نكتة لا يقهقه لها أحد • كم تمنت فى لحظاتها لو كان رجلا لتلكمه بشدة وتعلمه الأدب • هذا اللزج الذى لا يبدو أن أحدا قد رباه أو علمه الأدب وكم تضايقت بينها وبين نفسها من سكوت زميليه والباشكاتب عنه واحتمالهم لسخافاته ، كم ضايقها ذلك وأرق من جلستها الى المكتب ، تلك التى جاءت لسوء الحظ فى مواجهته ، والتى حتمت عليها أن تمتنع نهائيا عن النظر أمامها طول النهار وحتى لو استوجب الوضع أن تنظر الى الأمام •

مضايقات ، طالما تمنت لو كان أبوها الحنون لا يزال حيا لتشكو اليه منها ، فأمها ، رغم كل حدبها ، لا تفهم ولا تستطيع ، هى التى قضت حياتها ربة البيت ورهينة المطبخ ، أن تدرك تلك الأنواع الجديدة من المشاكل •

عمها ، أو بالتحديد عمها حسن أفندى ابن عم والدها الذى كان يبسط على عائلتهم الصغيرة ظل الرجل وحمايته ، ويأتى بانتظام دقيق ، لزيارتهم كل أسبوع مرة ، كان يدرك • كان هو نفسه موظفا فى الدرجة الخامسة وقد وصلها خلال خمسة وعشرين عاما بادئا من التاسعة ، وكان يسألها ، ويبدو فاهما حين تحدثه عن تفاصيل كل شىء ، وأكثر فهما حين تحدثه عن علاقاتها بمن معها من الموظفين ، حتى مشكلة الجندى واستثقالها لظله وكل وجوده ،

كان يفهمها ، ويقول لها معللا ، ولا يخلو تعليقه من حكمة أو خبرة ، ان مضايقات العمل جزء لا يتجزأ من العمل ، لا تحاولى حلها بعواطفك ، فالعواطف لا تحل شيئا ، حليها كمشاكل العمل بعقلك، فالعقل وحده هو القادر على حلها ••• العمل ومضايقاته مثل مسائل الحساب ، لا يمكن للعواطف مهما بلغت حرارتها أن تحلها ، الحل بالعقل باعمال العقل ، بالتفكير وتبريد الانفعالات والتدبير ••• أنا مثلا كنت •••

ويحكى لها ، ولكن يبدو كل ما يحكيه بسيطا جدا بالمقارنة الى ما هى فيه ، اذ يبدو وكأنها مشاكل خلقت وفصلت خصيصا من أجلها ، ولاغاظتها ، ولاحاطتها بجو لا تستطيع التخلص منه ، جو من الارتباك والاضطراب وعدم القدرة على الاتيان بأى حل •

ولكن الأمر لم يكن يخلو أيضا من سعادات ، جمهور المكتب المتردد عليها حين يرجوها ويمتثل لكلماتها ، حين يقف الرجل الطويل العريض أمامها باحترام بالغ وينحنى بسرعة ورضوخ قائلا بأدب جم : •• أيوه يا افندم •• تسعد هى فى سرها وتضحك وتحس بنشوة السلطة والأهمية ويضيع معها شعورها بأنها مبتدئة وانها منذ دقائق وبعد دقائق تقف وستقف أمام الباشكاتب ومدير الادارة موقف تلميذة الاعدادى أمام الناظرة • هؤلاء المترددون جميعا لا يعرفون عنها أبدا ذلك الموقف ، والدليل بسيط ، ها هم يعاملونها وكأن لها كل خبرة الباشكاتب وأهميته وأقدميته ••

ويا لسعادتها يوم اكتشفت خطأ فى الاستمارة التى حررها الجندى الأقدم منها بسنين وذهبت فى حماس بالغ تلفت نظر الباشكاتب الى الخطأ مدعية التواضع .وقلة الاهتمام باكتشافها الهائل • صحيح انها دهشت لأن الباشكاتب لم يشنق يومها الجندى ولا حتى عنفه ولكن ذلك لم يثبط أبدا من الاحساس الغامر بالتفوق الذى صاحبها طول اليوم •

Looloo
www.dvd4arab.com

وهناك ، حين مضت الشهور الثلاثة الأولى ، وأصبح من حقها أن تقبض ماهيتها المجمدة وذهبت الى الصراف فى اليوم الأول من الشهر وبدلا من اجابة النفى التى تعودتها أومأ لها بغير حماس كثير الى اسمها فى القائمة ، ورأته بعينيها وتأكدت منه • وحين فك رزمة الأوراق من فئة الخمسة جنيهات وجعلها توقع باسمها الكامل ومضى يعد ثم يكمل لها المبلغ من رزمة الجنيهات وأرباعها ، هناك حين غادرت الخزينة وفى حقيبتها أول ثلاث ماهيات ، وحين غادرت المصلحة ثم وهى تعبر الشارع وترى الناس وتدخل البيت بصرخة فرح بناتية قائلة انها جوعى ، مدبرة أن تفاجىء أمها بالنقود رزمة واحدة ، هناك وأمها تفرح وتهم أن تزغرد وتقبل الماهية ، وتقبلها ، وتمسك النقود بيدها وتدعو لها ، هناك وهما يجلسان بعد الغداء تتحدثان فيما يجب عمله بالنقود وتدبران أمور العيش على أساسها ، بينما أخوها الطالب الأصغر يقطع المذاكرة ويطل عليهما بين الحين والحين متلصصا ، وبطريقة تحس سناء معها ان جلستها مع أمها جلسة كبار ، وحديثها حديث كبار ، حديث وجلسة ومواضيع تعيد لذاكرة سناء صورا باهتة عن أبيها المرحوم حين كان يقبض وتراه آتيا يومها كالمنتصر ، له حق رفع الصوت على أمها وفرض الرأى ، صورا عن الأيام الماضية والكلمات الغامضة التى كانت ترن فى مخيلتها الطفلة رنين الخطوة الغريبة على أرض خام لم تطؤها قدم بشر •• آكل العيش وعرق الجبين والماهية ، ماهيتى يا ست أم سناء •• عمرك لن تدركى كيف أشقى لأحصل عليها ، كيف أحرق دمى لأتقاضاها ، الماهية ، يا أم سناء ، والفلوس ••• كلمات كانت سناء الطفلة تدرك بطريقة ما ماتعنيه ولكنها أبدا لم تشعر بمعناها الحقيقى ، بأنها ليست مجرد كلمات ، الا هناك ، حين اشتغلت هى ، وتحملت الفشل والضيق وعرقت وخجلت وغلا دمها غضبا وتجمد خجلا ، لتقبض آخر الأمر ، ليتحول هذا كله الى نقود . تبدو لها على كثرتها ، مثلما كانت تبدو لأبيها ، قليلة ، كل قرش منها لا يقدر تعبها فى الحصول عليه بمال ••

- ٥ -

الذى راهنوا خسروا الرهان ، والذين كانوا لا يصدقون اضطروا للتسليم ، وأسابيع كثيرة مضت ، و « البنات » قد ثبتت أقدامهن فى العمل ومكاتبهن التى كانت موضوعة على هوامش الحجرات ، وضع الشىء المؤقت ، زحفت زحفا غير منظور ، وابتعدت عن الأبواب واستطاعت بطريقة ما أن تخلق لها أركانا ثابتة حصينة تكاد تجعل من الحجرة ذات الأربعة أركان حجرة بخمسة وقد أضيف اليها ركن جديد لا يقل أهمية وخلودا عن الأركان الأربعة الأصيلة ، وكأنما باستطاعتك دائما أن تحيل المثلث الى مربع والمربع الى مسدس له أصالة المربع ، وكأن لا ثابت هناك ولا خالد والغباء كل الغباء فقط لمن يتصور الثبات والخلود •

والزمن مع سناء وزميلاتها باستمرار ، وكل يوم يمضى يضيف جديدا ويزيدها فهما ووعيا ، وبغير أن تبذل مجهودا كبيرا كانت قد استطاعت أن تعرف عن قسمهم وعن زملائها فيه كل ما تريد معرفته ثم بدأت معلوماتها تتعدى نطاق الحجرة وأصبحت تعرف على وجه الدقة كنه التركيب الخارجى للمصلحة وكذلك ، والى درجة ما استطاعت ، بتبادل الرأى مع زميلاتها ، وبالنصيحة الخالصة

Looloo
www.dvd4arab.com

لوجه الله التى كان يتفضل بها ، بين الحين والحين زميل ، أن تتبين ، فيما يشبه الصباح المضبب ، كنه التركيب الداخلى للمصلحة ، ومن بيده الحل والربط ، ومن بيده النقل والانتداب والعلاوة ومن الذى يقرر البدل والأوفرتايم ومن باستطاعته الدس لدى المدير • وبين التركيبين وبين العالمين ، استطاعت أيضا أن تدرك أن ثمة شخصا واحدا يقف ، وحول شخصه وموقفه تلتف علامة استفهام كبرى لم تعرف أبدا كيف تفسرها أو تحلها • فموظفو المصلحة ، بما فيهم الكبار ، كانوا ينضوون بشكل أو بآخر تحت أى من التركيبين ، هناك المدير ونوابه مديرو الادارات والمفتشون الى آخر قائمة الوظائف والألقاب ، هؤلاء مع ما بينهم من صراع وتنازع اختصاصات يكونون الهيكل الخارجى للمصلحة • أما الادارة الفعلية اما لماذا ينقل هذا ولماذا يرضى عن ذاك ، أما التيار الحقيقى الجارى فى قلب المصلحة يحرك الأمور ويوجهها فقد كان يقوم على أناس قد تجد بينهم سكرتير المدير مثلا أو موظفا فى الدرجة السابعة فى قسم المستخدمين وآخر عجوز فى مكتب المراقب العام قربت احالته على المعاش ، مع كل ابتساماتهم المؤدبة ، مع كل محافظاتهم على الشكل الخارجى وأداء عملهم فى حدود وظائفهم لا يتعدونها ، الا ان نفوذهم بالغ الخطورة ، تحد أحدهم وانتظر ما يحدث لك ، وبين الوجهين يقف هذا الشخص ، الجندى ، لا يعمل طول اليوم بمليم ، ودائم الغياب والتأخير ، وكثير الأخطاء ، يخرج من الواقعة ، حتى اذا بلغت الواقعة المدير ، خروج الشعرة من العجين دون أن يمسه مجرد لفت النظر ، أو على الأقل هذا هو ما خرجت به سناء بعد تجربتها الخطيرة معه • فلم يكد يمضى على وجودها فى المصلحة أسبوع ويذهب طعم الضيافة عنها حتى بدأت مطارداته لها • ولم تكن سناء فى الحقيقة تتصور ، رغم كل ما ذكره لها عمها ، أن تبلغ الوقاحة حد ان يبدأ زميل لها فى العمل يغازلها مغازلات علنية سمجة فاضحة • تدخل فى الصباح وما تكاد تلقى على زملائها التحية حتى يرفع هو الدوسيه ليحجب

وجهه عن الباقين وينسكب اصفرار عينيه ملقا سائلا رخيصا وزلفى كما ينسكب صفار البيضة ويقول بهمس لا يقل زيتية عن نظراته : صباح الخير يا حلو •• يا مدوخنى أنت يا حلو •• والنبى أنا دايخ وحاقع •• دانا خلاص وقعت ••

ولا تعرف ماذا كان يلجم لسانها ، أكثر من هذا ، يلجم حواسها كلها وعقلها عن ان تثور أو تنفجر صائحة غاضبة • أهو الخجل ؟ ربما كان هذا صحيحا فى المرات الأولى • أو هو الاشمئزاز ؟ ربما كان فى الشهر الأول • أهو الغشيان الذى كان يطفح من أعماقها حتى ليعميها ان ترى أو تسمع ؟ أم هو كل ذلك معا ؟ جائز • ولكن الواقع انها كانت تسكت ، وللانصاف أيضا ، كان يتبدى على ملامحها الساكتة كل ما لم تكن تنطق به أو تقول • ولكن الوضع أصبح لا يطاق حين تعدى صاحبنا حدود الغزل ودخل فى عروض الزواج ، أجل عروض الزواج ، خلف الدوسيه سالت كلماته : هو أنا لاسمح الله نيتى وحشة ؟ •• أنا هدفى شريف •• أنا راجل بتاع سنة الله ورسوله •• ومستعد من دلوقتى وبالشروط اللى تطلبيها •• اصلى بصراحة دايب •• وواقع •• ومش لاقى اللى يسمى على •

Looloo
www.dvd4arab.com

- ٦ -

حين أصبح الأمر وكأنه كل مشكلتها أمر لا تستطيع عرضه على عمها أو مصارحة أمها أو احدى زميلاتها به ، فكرت سناء لفرط ما وجدت نفسها محاصرة ومخنوقة أن تترك العمل وتستقيل ولكن فكرة أخرى عنت لها ٠

لماذا تياس هكذا من أول عقبة ؟

ولماذا تسلم بالهزيمة أمام انسان تشمئز منه وتحتقره ؟ لماذا لا توقفه عند حده ؟ لماذا لا تتصرف التصرف اللائق بوضعها وقد أصبحت موظفة وتشكوه ؟

وليلة بطولها قضتها الى الثانية عشرة تكتب وتمزق وتفشل وتبكى وينتابها الغيظ وأخيرا بدا وكأنها استقرت على الصيغة المناسبة للشكوى ٠ وفى الصباح لم تذهب بالعريضة الى الباشكاتب رئيسهم وانما ، مباشرة ، الى مدير الادارة ، دقت على الباب ، ودخلت وحيته وقدمت له « البوستة » ليوقعها وكانت قد وضعت الشكوى فى آخرها وحين انتهى المدير من التأشير على بقية الخطابات ورأت خطها يطل من العريضة والمدير يهم بتوقيعها هى الأخرى

اقتربت منه ، وترددت ، ورجته أن يقرأها فهى شكوى منها ٠ وخيل اليها بعد دهشة الرجل الأولى انه قد أخذ وقتا أكثر من اللازم فى قراءتها وان قهقهته حين انتهى كانت سخرية منها ٠ واشتدت سمرة وجهها فجأة ووجدت نفسها تبكى ٠ حينئذ فقط كف المدير عن الضحك واتخذت ملامحه طابعا أبويا مصطنعا وان حاول أن يطلبه بطبقة حزم حادة وسمح لنفسه أن يهدهد على كتفها مؤكدا لها انه لابد أن يوقف الجندى عند حده غير ان هذا لم يمنعه أن يعود للابتسام وهو يطلب منها أن تحاول فى المرات القادمة أن تتعلم أساليب الشكاوى الرسمية اذ ليس فيها محل لعبارات كثيرة جاءت بشكواها من أمثال « كلام تحمر له خدود العذارى » ، وموظفة مثلى ذات أصل وحسب » ٠ ثم بلجهة شبه حادة هذه المرة أفهمها ألا توقع الشكاوى الرسمية أو المكاتبات بتعبير مثل « المخلصة » سناء عبد الله فللرسميات لغتها الأخرى ٠

ورغم كل هذا الدرس الجانبى فقد عاد المدير يؤكد لها انه سيوقف الجندى حد حده تأكيدا دفعها لأن تعود الى الحجرة وفى نظراتها رضاء سافر ، وحين جلست كان فى جلستها تماسك من أن له فى النهاية أن ينتصر ويستريح ٠ وهى التى ابتسمت هذه المرة ابتسامة حقيقية حين لم تكد تمضى دقيقة حتى جاء ساعى مدير الادارة يستدعى الجندى ، وبعد أكثر من ربع ساعة عاد مصفر الوجه بطريقة جعلت لجلده لون عينيه وأكسبته بشاعة ، ولكنه كان يضحك أو على الأقل كان فكه الأسفل قد تهاوى فى سقطة مهددة ضاحكة ٠٠ ومن خلف الدوسيه جاءتها كلماته ، بتشتكينى ؟ ٠٠ هو أنا من بتوع الكلام ده ؟ ٠٠ طيب ٠٠ بكره نشوف ٠

وقبل ان ينتهى ، كانت هى فى انفعال حقيقى غاضب قد شرعت تكتب شكوى عاجلة أخرى تثبت فيها ما قاله وتجرى حاملة اياها الى المدير الذى ما كاد يعرف محتواها حتى استدعى الجندى وقد تملكته

Looloo
www.dvd4arab.com

شياطين الرئاسة والاحساس المضاعف بالهيبة المخدوشة وجاء الجندى · وبالدناءته ، باللاستنكار الكاذب الهائل الذى قابل به شكواها ، وقسمه وتأكيده لقسمه وايمان الطلاق التى توالت من فمه وهو يؤكد ان شيئا مما قالته لم يحدث وانها تتبلى عليه وانها هى التى تتمحك فيه ، وتناوشه ، على أمل ، قال ، أن تتزوج منه . وانه مظلوم ، أى والله مظلوم عاجز لا يدرى ما يفعل فى هذه البلاوى التى تتساقط من حيث لا يعلم فوق رأسه ·· يابيه عيب ·· أنا راجل متجوز وعندى تسع عيال ·· ماتخليها تشوف حد تانى تتلقح عليه ·· يا سعادة البيه ده أنا ·· أنا ·· وبلغ الاشمئزاز بسناء حدا جعلها تتمنى ان ينتهى المشهد بسرعة وعلى أى وجه حتى لو جاءت النهاية ضدها وفصلوها من المصلحة أو أرسلوها الى السجن · انها لم تر أبدا فى حياتها منذ وعت اناسا كهذا الجندى يكذبون عينى عينك بلا خجل أو حياء أو ارتباك ، مجرمين فى كذبهم الى حد ممكن فعلا ان يقلب الباطل حقا والحق باطلا ·

ولكن الأمر لم ينته تلك النهاية ·· فالمدير حتى لم يكلف نفسه عناء النظر الى سناء أو سؤالها عما لديها من أقوال · ظل طوال الوقت يحدق بنظرة غير مفهومة الى الجندى وهو يقسم ويتفتف ويرفع عقيرته بالخطب والأقوال ، على الأقل لم تفهمها سناء ، وحين انتهى ، أمره بصوت حاسم خفيض ان لا يتعرض مرة أخرى لها أو يحادثها ، حتى فى العمل ·· لهجة حيرت سناء ، فقد كان واضحا ان المدير يدرك خطأه ويعلم سفالته ولكن لهجته فى أمره لم تكن تتناسب أبدا مع هذا الادراك ، والأغرب من هذا ان يمتثل الجندى ويتعهد ان يقوم بكل ما يريده المدير أن يقوم به ·

ولقد نفذ الجندى تعهده ، ولكن التنفيذ لم يدم الا ليوم واحد أو على وجه الدقة بقية ذلك اليوم الذى بدأته سناء بشكواها ، فى اليوم التالى مباشرة صبحها بنظراته ، وبعده بيوم ، بأقل من يوم ، عادت ابتساماته ، وما لبث ان اردفها بتعليقاته الهامسة التى كان

يلقيها ثم يعود ليبتلعها ويخفيها وأخيرا وجدته سناء يوما يرفع الدوسيه · وفى الحال قررت ان تذهب الى المدير وتشكوه ، ولكنها ترددت ، فماذا فعل بشكواها الأولى لتلجأ اليه ثانية ، ثم اليس من المحتمل أن تبدو فى نظر المدير بكثرة لجوئها الى الشكوى طفلة أو تلميذة ، بل أليس من الممكن أن يصدق انها بشكاواها الكثيرة تناوش الجندى كما ادعى · لقد جربت عمها ونصيحته وجربت المدير ، فلماذا لا تجرب نفسها ؟ لماذا لا تواجه الجندى ، أو على وجه أصح لماذا لا تكف عن مواجهته والاهتمام بأمره وبكلامه ؟ لماذا حتى تشمئز منه وتحتقره ، ان انفعالها به هو اعتراف بوجوده ، لماذا لا تهبط فى احتقارها له درجة أخرى ، وتلغيه كلية من تفكيرها ، ووعيها ·

Looloo
www.dvd4arab.com

- ٧ -

وهو بالضبط ما فعلته سناء ، وهو بالضبط ما كاد يقتل الجندى ويدفعه الى الجنون ، انها هى نفسها لم تكن تعتقد ان باستطاعتها ان تتجاهل وجود انسان على مبعدة منها الى تلك الدرجة ، فما بالك برجل يزاملها ثمانى ساعات كل يوم ومكتبه يكاد يلمس مكتبها ؟! ولكن . بالقدرة النساء الكامنة فيهن على التجاهل . لكأنما أصبحت الحجرة فى نظرها بمكاتب أربعة لا خامس لها بالمرة ، لكأنما مات الجندى أو ما ولد قط . وبالروعة التى سار بها كل شىء وعلى أتم ما تريده من مرام . الى ذلك اليوم ليت ذلك اليوم لم يأت قط ليتها قطعت لسانها بيدها قبل أن يزلف وتخبر روحية زميلتها بالمشكلة . ولكنه درس تعلمته وستوصى أحفاد أحفادها بتفاديه . المشكلة عادية جدا وبسيطة ومن النوع الذى تقرأ عنه فى الجرائد ويرد أحيانا فى أفلام السينما ، وتتناوله صباح مساء تمثيليات الاذاعة . مشـــكلة المصاريف التى لم تدفع وحلول موعد دفعها : وتوقف حضور الامتحان على هذا الدفع . والمصاريف مصاريف أخيها ، القسط الثانى عشرة جنيهات . كان اشتغالها قد اقتطع من المعاش الذى كانوا يتقاضونه قيمة نصيبها فيه . وكان تراكم مطالبها قبل تسلم العمل وبعده قد أثر فى ميزانيتهم الصغيرة وانهكها حتى أصبحت أعجز من أن تسد

القسط الثانى ، أمر لولا اشتغال سناء ما كان يمكن أن يحدث فالنقود كانت توزن ، تزنها مدبرة بيتهم ومدبرة حياتهم كلهـــا ، أمها . وتوزعها بالمليم ولم يحدث يوما أى ارتباك ولقد ظلت سناء تعانى من ضغط الموقف الذى لم ينقلب الى مشكلة الا بعد ان طرقت الأبواب جميعها فلم تلن أو تستجب ، حتى عمها الناصح الأمين ، ما أكثر ما سهل عليهم المأمورية لدى عرضها أمامه . وما أكثر ما تحجج حين تأزم الوضع واقترب موعد الامتحان .

فى تلك الآونة الخانقة ، وفى ساعة ضعف ، عرضت سناء المشكلة على روحية عرضا لا طائل من ورائه لمجرد الشكوى والتفريج عن النفس . ومن تلك اللحظة أصبحت الكلمة الدائمة على لسان روحية : هيه .. عملتم ايه فى مصاريف اسامة ! ورغم ان اجابة سناء الدائمة كانت هز كتفيها علامة اللاحل ، الا ان ضيقها كان يتعاظم فى كل مرة تسألها وكل مرة تصمم ان تصارحها بما يعتمل فى صدرها لمجرد السؤال ولكنها تعود وتلتمس لها العذر وتسكت ، غير انها لا يمكن أبدا أن تعذرها لما فعلته ذلك الصباح حين جاءت لتمر عليها بالمكتب ، وجلست ، وتحدثت قليلا ، ورحب بها الجندى ترحيبا ملحا مبالغا فيه وطلب على حسابه مشروبات وألح واقسم وانشغل عن كل شىء الا حديثه اليها وبطريقة لم تجد معها روحية فرصة تتبادل فيها كلمة واحدة مع سناء وأول كلمة تبادلتها معها كانت حين سألتها كالعادة : هيه عملتهم ايه فى مصاريف أخوكى !

صمتت سناء كالمصعوقة لا تجيب ، بينما وجد فيها الجندى فرصة فتحت له فيها أبواب السماء وأبواب الحديث وبكل ما يمكنه اصطناعه من نخوة سأل ما هى المشكلة . وببساطة وبرغم نارية النظرات الخارجة من عينى سناء مضت روحية تحكى ، بكل براءة مقصـــودة ، حكاية القســـط الثانى والحرمان ، يا عينى ، من الامتحـــان .

Looloo
www.dvd4arab.com

وربما كانت تلك أول كلمات تقال فى الحجرة وتشير الى حقيقة ما عن حياة سناء الخاصة التى عمدت منذ تسلمها العمل الى اخفائها بنفس الطريقة التى تخفى بها ذيل « الكومبليزون » تحت الفستان ، أو « ركبتها » التى أحكمت اخفاءها عن العيون النهمة بأن سدت فتحة المكتب الأمامية بقطعة من الورق المقوى · حقيقة القتها روحية بسذاجة أو بخبث ولكنها جعلت سناء تذوب خجلا وتتمنى لو اختفت بكلها خلف ورق المكتب المقوى · حقيقة قيلت وارتفع لها رأس الجندى من طيات الورق وطقطقت لها أذناه فى تصنت مشدود متحفز هائل · وما كاد يفطن الى المقصود حتى هم أن يلقى بنفسه فى الحديث كعادته ، ولكنه للوهلة الثانية ، انداحت فى وجهه ابتسامة صفراوية ما ، وخنس وسكت ·

لقد قضى أياما تعسة طويلة يبحث أثناءها عن نقطة ضعف ولا يجد · أيكون ما قالته روحية هو النقطة التى فاتته ، وحتى اذا لم يكن كذلك فهو لا يدرى لماذا أحس بتغيير أو باقتراب تغيير ، كالليل حين يلونه الفجر ، كاليأس الكامل حين تسقط فى قلبه قطرة ، مجرد قطرة واحدة ، من طعم مخالف اسمه الأمل · كان كل مناه أن يعرف عنها شيئا واحدا تحرص على اخفائه والباقى فى رأيه بسيط ، ولم يكن أبدا يتصور أن تهديه الأقدار بهذا الشىء غير العادى الذى عرفه ·· أن حكمته الخالدة المشهورة عنه أن الفلوس is the master key ، يا حبيبى ··

هى كل شىء · مفتاح السعادة ، ومفتاح الدنيا ، وبالذات مفتاح قلب كل امرأة على سطح الأرض ·· حتى لو كانت المرأة سناء ·

ورد الفعل الساحق الذى حدث والذى لم تكن سناء تعتقد أبدا ان باستطاعتها ان تنساه أو تشفى منه ، لدهشتها الشديدة ، كان مفعوله بعد ساعات قد زال أو كاد ، وكانت قد عادت تتمالك نفسها وتنظر الى ما حدث وتطمئن النفس بقولها ·· ربما فاتت الكلمة دون أن يسمعها أحد ، والجندى بالذات يدعى أن سمعه ثقيل ، ثم هو

لم يتدخل ولم يعلق خاصة وليس من عادته أن يفلت فرصة كهذه دون تدخل أو تعليق ·

ولكنها كانت واهمة ، فلو قد اتيح لها ان تنظر · مجرد ان تصوب واحدة من تلك النظرات النافذة التى تقتحم صدور الناس وكيانهم وتظهر كالأشعة السينية ، ما تخفيه ، نظرة كانت غير قادرة عليها بالمرة ، لا بالنسبة للجندى ولا بالنسبة لأى رجل ربما لمجرد كونه رجلا ·· لو أتيح لها أن تلقى نظرة لوجدت الجندى فى حالة ما بعد النشوة ، حالة قل ان يوجد عليها انسان ، اذ هى احدى البقية من احاسيس الحيوان الذى تفصله عنا ملايين وملايين من السنين ·· حالة الاحساس بالفريسة رهن الاشارة وعلى مدى انقضاضه ، حالة السعادة البدائية الجامحة التى تدعو القط وبه مأبه من الجوع ان يصبر على صرخاته ويتجاهلها ليستمتع بما هو أكثر امتاعا من اشباع أية غريزة بمفردها ، ليستمتع بنفسه والفأر قد أصبح حبيس ارادته ونظراته ، يرى ارتباكه الأعظم ، ورهبته ورغبته العارمة فى النجاة ، وتحفزه الهائل للهرب ، وعجزه الهائل عن الفرار ، الحالة التى تشبع فى بعض الناس غريزة الغرائز وتنتشى بها حيوانية الانسان ··

أجل ·· من أين أكلك يا سناء !

Looloo
www.dvd4arab.com

- ٨ -

كان العمل قد أصبح أمره بالنسبة لسناء وزميلاتها عادة سهلة ، ولكن المشكلة لم تكن أبدا فى العمل ولا فى كتابة بضعة سطور وتنفيذ بعض تأشيرات ، المشكلة كانت فيما هو خارج نطاق العمل ، فى المصلحة ، فى الموظفين ، فى الأسرار التى لم تتوقف عن التكشف يوما واحدا لا يكاد يوم يمضى حتى يكون قد انتهى باكتشاف أمر من أمور المصلحة جديد عليهن كل الجدة لاكتشافه فرحة العثور على السر المنيع · والأسرار تبدو كثيرة وكان لا نهاية لها ، وكان أسفل البناء الضخم الذى أنفق الرجال عشرات السنين فى اقامته سراديب خفية ، حفروها وجعلوا لها أبوابا محصنة سرية لا يمكن أن يفطن لها غريب · ولا تفتح الا على كلمات سر معينة تقال ، عشرات السنين من العمل الدائب لبناء الهيكل من الخارج والدنيا الخفية من الداخل · والعمليتان ماضيتان معا · وكل ارتفاع فى البنيان تقابله وعورة فى الممرات وفى السراديب السرية ، والسرية جدا ، والسرية جدا جدا ·

هذا العالم الخفى لم يكن ليكشف عن نفسه هكذا ببساطة للموظف الجديد فما بالك والجديد موظفة وانثى · والأسرار أسرار

رجال · الأمر يبدو حينئذ صعبا ، واعر الصعوبة والأسرار تتكشف ببطء شديد ، وبالقطارة ، ولا تتكشف من تلقاء نفسها لابد من بذل جهود وعقد صداقات وشحذ ذكاء ·

وهكذا كان لابد ، طال الوقت أم قصر ، ان تدرك سناء ان ثمة عملية أخرى يقوم بها المكتب الذى تعمل فيه · استخراج التراخيص ، ذلك هو العمل الرسمى للمكتب · أهون العملين وأقلهما شأنا واهتماما وأبطاهما سرعة انجاز · بل هو فى الواقع لم يكن أكثر من مجرد لافتة رسمية معلقة لتدل الزبائن على المكان الذى باستطاعتهم أن يتوجهوا اليه لنهو العمل الثانى ، العمل الحقيقى الدائب ، بيع التراخيص ، بيعها بأثمان لم تحددها المصلحة ولا الوزارة وانما حددتها تقاليد ورثها الموظفون جيلا عن جيل وباشكاتبا عن باشكاتب · أسعار تخضع لكل ما يطرأ على حياتنا من تغيير ، ارتفعت أثناء الحرب مع ارتفاع الأسعار وكلما زاد الغلاء ازداد ارتفاعها والشىء نفسه ينطبق على نسبة التوزيع الباشكاتب ٣٠ فى المائة ، بقية الموظفين من مرءوسيه ٣٠ فى المائة والأربعون فى المائة الباقية تذهب الى رأس كبير فى المصلحة ، ويقال ان معظمها يذهب الى رؤوس مماثلة فى الوزارة نفسها ، عملية تجرى مجرى اللوائح والقوانين · تتم سرا معظم الأحيان ، وبحرص شديد من الزبون وبجرأة غريبة من الموظفين ، والطريق اليها معروف ، والواسطة خفاجى ، ذلك الساعى ذى الشارب الكث وسحب الدخان الغزيرة ، الواقف على باب المكتب « ليفنط » الزبائن و « يوزع » غير المرغوب فيهم ، ويفتح الباب « للسالكين » ·

ورغم كل ذكائها لم تكن سناء أدركت طبعا ولا كان لها ان تدرك ذلك الاجتماع الخفى الذى تم بين الباشكاتب وزملائها يوم تعيينها ، ولا ما دار فيه من نقاش ، وكيف كان من رأى الباشكاتب ، أكبرهم نصيبا وأكثرهم خوفا أن يتوقف العمل الخاص فى ذلك

www.dvd4arab.com

اليوم الى أن يجسوا نبض هذه القادمة الخام الجديدة ، وكيف كان من رأى الجندى أن يستمر العمل وكان شيئا لم يحدث ، فلا يمكن لبنت مثلها لا تزال مغلقة العينين كالقطط المولودة ان تستنتج أمورا لا يستطيع الجن الأحمر نفسه ادراكها الا اذا اشترك فيها • ولم يكن غريبا أن ينتصر رأى الجندى ففى ذلك العمل الثانى كان هو الذى يقبض ، وهو الذى يتولى التوزيع وأهم من ذلك كان هو الصلة الوحيدة بين المكتب وبين الرؤوس الكبيرة ، يخصم لها النسبة ويتولى ايصالها ، ويحتفظ وحده بأسمائها لا يعرفها سواه ، ومن هنا كان نفوذه لا فى المكتب وحده ولكن فى الوزارة كلها ، ذلك النفوذ الذى استطاع به أن يمنع نفسه من النقل أو حتى الترقية أو ترك المكتب بأية وسيلة لخمسة عشر عاما متواصلة قضاها ينظم ذلك العمل ويشرف عليه •

صحيح ان انشغاله بأمر سناء قد جعل اضطرابا ما يحدث للعمل ولكنه ظل يواصله • وصحيح انه تساءل مرة أو مرتين ونادرا جدا ما كان يسأل نفسه عن أمر ، ماذا يحدث لو عرفت سناء ما يقوم به ، هى التى يبدو انها نقية مثالية كالقماش الأبيض التى بالتأكيد يمرضها بل يحتمل أن يقتلها معرفة أشياء كهذه ؟ ولكنها أيضا مجرد تساؤلات متباعدة تدق دقا خافتا جدا على احساس جامد متصلب ولا تتوقف عنده طويلا •

فى ذلك اليوم وقد جاءت سناء متحفزة لقرار التجاهل التام احست حين دخلت الحجرة انها تدخل على جو مريب • كان ثمة زبون بادى الثراء والأناقة من زبائن المكتب يجلس أمام الباشكاتب وثمة كوكاكولا قد انتهى من شربها وقهوة فى الطريق اليه وحديث كان يبدو أن دخولها السبب الوحيد فى قطعه • لم تلق بالا كثيرا أول الأمر اذ كانت لا تزال تحيا وتتشبث بقرارها الخاص ، ولكن الصمت ، والصمت الذى تتخلله كلمات مقتضبة أشد ريبة من

الصمت نفسه والوجوه ، الوجوه المستديرة عنها والموجهة بارتباك اليها والمندسة فى الأوراق ، والاستغاثات الملحة بالسؤال عن صحتها ومزاجها وكيف تبدو الدنيا فى الخارج ، بجماع هذا كله ، أو فى الحقيقة بالفراغ الكامن بين هذا كله استطاعت ان تخمن ، مخلوعة القلب شبه مرتجفة ، ان هناك شيئا آخر غير العمل يحدث فى المكتب ويحدث باتفاق الجميع ، وباشتراك الجميع ، وأن الجميع يبذلون جهدهم كى يغلقوا عينيها عن أن ترى وحواسها عن أن تشم وتسمع •

وكان طبيعيا أن يفوتها وهى فيما هى فيه من وجل وارتباك أن تدرك ان بعض العيون الثمانى التى تزاملها قد استوقفتها حالتها ، وكفتها لمحة لتتأكد ، العيون ، انها ، سناء ، قد عرفت •

وتلاقت العيون حينئذ تسترق التشاور وبدا أن ومضاتها ما لبثت ان اتفقت على رأى لم يكن قد بقى على تنفيذه الا اجتماع عاجل يعقد وطريقة تختار ••

وفى المقهى ، فى المساء ، وتحت ظليلة من دخان الشيش ورشفات أكواب الشاى استقر الرأى على انها ما دامت قد عرفت أو خمنت فلابد من اشراكها • وتطوع الجندى وأخذ على عاتقه مهمة جر رجلها وتوظيفها وأمره الى الله فى العمل الثانى على شرط أن يكون هذا مقابل أبخس نسبة ممكنة • ورغم أن الآخرين لم يبدوا حماسا شديدا للفكرة فكرة أن يكون الجندى بالذات هو رسولهم اليها الا أنه أصر وأقسم لهم وأكد وتمسك بطريقة لم يجدوا معها بدا من الرضوخ • كان بينه وبين نفسه وقد سدت فى وجهه كل الأبواب الأخرى يطمح أن يتقرب اليها من هذا الباب وان يجرب معها هذا المفتاح السحرى وقد وضع فى اعتباره ما تعانيه هى وأسرتها من أزمة وحاجة الى المصاريف •

من هنا وبهذا السلاح قرر أن يأكلها •

Looloo
www.dvd4arab.com

- ٩ -

كانت خطة الجندى ـ رغم عبطه الظاهر ـ ماكرة خبيثة ، فقد ظل يرتب الأمر بحيث خلت الحجرة الا منه ومن نفس « الزبون » البادى الثراء بينما وقف خفاجى على الباب يمنع الدخول بحجة أن هناك لجنة وان كانت شياطين الشغف تستبد به أحيانا حتى ليكاد ينحنى ليختلس النظر أو يلصق أذنه بالباب علها تلتقط كلمة . جلس الزبون محرجا أول الأمر يرد على تحيات الجندى المتعاقبة بجهد وتكلف ، وبين الحين والحين ينظر ناحية سناء ويعود ينظر اليه متسائلا متشككا ، وتركه الجندى فى حيرته وظل يراقب سناء من طرف خفى الى أن لمحها تترك انهماكها المتعمد فيما أمامها من عمل وتبدأ من طرف خفى أيضا تدرك وجود الزبون أمام الجندى ، وتدرك وهذا هو المهم ارتباكه وحيرته ، بمعنى أوضح تدرك أن هناك أمرا يتحرج الزبون من الخوض فيه أمامها وأن الجندى لا يريد انقاذه من هذه الحيرة . كان مفروضا حينئذ أن تعاودها احدى نوبات الاشمئزاز الحادة التى تنتابها كلما بدر من الجندى ما يبعث على الاشمئزاز فتنتفض فى الحال واقفة وتغادر الحجرة . ولكنها هذه المرة وجدت نفسها واقعة تحت تأثير ما هو أقوى من الاشمئزاز

حب استطلاع الأنثى ، أقوى أنواع حب الاستطلاع القادر وحده على أن يكبت اذا استبد بها كل رغابتها وما يدور بأعماقها من انفعالات ، وجدت نفسها تريد بأى ثمن أن تعرف ان كان ما قدرته صحيحا أم هو من قبيل التخمينات . أم لعل سبب بقائها هو الارتباك العنيف الذى اجتاحها وفصد العرق من كل جسدها وسمرها فى مكانها وكأنها بسبيلها الى حضور أمر مخجل مجهول لا تعلم مدى بشاعته ، أعيب عيب ، لعل هذا هو ما دفعها الى ابتلاع اشمئزازها والبقاء ، بل ما هو أكثر من البقاء ، ادعاء الانهماك الشديد فى العمل كى تترك أمامهم المجال واسعا رحبا حتى يتسنى لها أن تسمع وترى رأى العين ..

كل ما حدث انها ، حين لاح عليها وكأنها ترفع رأسها مفيقة ، لم يضع الجندى الفرصة الذهبية فرفع صوته يقول للزبون المرتبك المحرج :

ـ خد راحتك قوى يا عبادة بيه .. الآنسة سناء زميلتنا ومنا وعلينا . خذ راحتك قوى قوى .. دى مش غريبة . دى معانا .

ورغم أن المقطع الأخير رن فى أذنها رنينا مزعجا غريبا الا أنها لم تشأ أن تنكص وقررت أن تظل منهمكة وعادت مرة أخرى الى الدفتر الكبير الذى كانت تسجل فيه أو على وجه أصح تدعى التسجيل .

وكأنما انزاح عن كاهل الزبون عبء من حديد . فقد أخرج علبة سجائره وقدم للجندى واحدة بل عزم عليه بالعلبة كلها ، ثم قال :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ما دام المسألة كده يبقى نتكلم بصراحة ·· والصراحة انتم لازم تتوصـوا بنـا شوية ·· أنا ما أقدرش أدفع خمسين جنيه عالتصريح ·

وبينما كان قلب سـناء يدق أكثر من خمسين دقة متقاربة متتالية كأنها دقة واحدة تفتت الى دقات مضى الجندى يقول :

ـ ما دام صراحة بصراحة ·· نتكلم احنا كمان بصراحة ·· يا عبادة بيه انت نسيت ان الخمسين اللى بناخدهم بتكسب من وراهم سعادتك ألف وأكتر ·

ـ بيتهالك والله ·· لو تعرف اللى فيها ماتقولشى كده ··· انت فاكر ان الحكاية تصريح وبس ··· مش عارف فى المراقبة لازم برضه على الأقل خمسين وخمسين زيهم واللا ميه فى الجمرك ·· ما انت عارف كل حاجة ايه الداعى تخلينى أتكلم ؟

ـ ما انت كمان يا عبادة بيه مافيش داعى أقول لك ··· انت بتقول عليهم خمسين انما أحلف لك بايه الواحد منا ما ما بينوبه خمسة يمكن والا ستة ·

ـ بينوبك خمسة ؟ أمال الباقى بيروح فين ·

ـ يا سعادة البيه احنا هنا فى المكتب أربعة غير الباشكاتب شوف كل واحد ينوبه كام ولازم يروح للناس اللى فى المصلحة كام وبتوع الوزارة كام · ان كان على أنا أحلف لك بايه انى يمكن ما باطلع بحاجة ، وشرفى ورحمة أمى أنا مجرد واسطة خير ·

ولسبب ما بدا أن « عبادة بيه » الزبون لم يهمه من كل اجابة الجندى الا نقطة واحدة رسمت الدهشـة على ملامحه أول الأمر ، ثم جعلته يلقى على سناء نظرة خاطفة ويطمئن الى انهماكها

فى العمل قبل أن يميل على الجندى عبر المكتب ليهمس له بصوت ملؤه الدهشة وغير قليل من الاستنكار ··

ـ ودى رخرة بتاخد معاكم ؟

ورفع الجندى صوته عن عمد وهو يكاد يقهقه قائلا :

ـ أمال يا بيه هو يصح نبقى زملاء فى مكتب واحد وحاجة زى دى مانقاسمش بعض فيها ·· ده أنا ان مكانش لى خير فى زميلى مايصحش واحد زى سعادتك يعبرنى أو يشق فى ·· أمال يا سـعادة البيه ·· كلنـا بناخد ·· أنا وزملائى الثلاثة كلنـا والباشكاتب ··

وكان يقول الجملة الأخيرة وهو يدور بصوته العالى فى كل اتجـاه وكأنما ليشهد السقف والجـدران والمكاتب الخالية على ما يقول ، بينما يسدد بصره الذى لا يطرف الى سناء ··

Looloo
www.dvd4arab.com

- ١٠ -

فجأة اكتشفت سناء انها غارقة الى قمة رأسها فى هوة كأنما حفرت داخلها فى لمح البصر ومضت بسرعة مجنونة ، تتسع وتعمق وتحتويها ، كانت لأول مرة فى حياتها تواجه بموقف حاد عاجل يتطلب منها تصرف حادا عاجلا وهى لا قدرة لديها على القيام بأى تصرف ، أو حتى النطق ، مجرد النطق بكلمة ، لم تكن تتصور أبدا أنها ستنقلب هكذا دون أن تحس ، من متفرجة محبة للاستطلاع على موقف ، الى مشتركة لقمة رأسها فيه ، وأن يكون الجندى العبيط فى نظرها ، هو فاعل هذا ومدبره ، كيف استطاع ساذج مثله أن يقلب الحديث الدائر بينه وبين « الزبون » الحديث المفروض أنها تجهله تماما ، وأن يتم خلف ظهرها ودون علمها الى حديث عام ، يرفع فيه صوته ويسمعها ، وكأنه فى ندوة ، وكأنها الطرف الثالث فى « الصفقة » بل كاد لولا بقية من حياء ان يطلب منها ان تساهم برأيها فيما تجرى عليه المساومة ..

بقية من حياء تثبت انها لم تكن موجودة أصـــلا ، اذ ما لبث بعد وقفة التقط فيها أنفاسه ومن السيجارة أشعل سيجارة وبينما « الزبون » يهم بفتح فمه للرد ، اذا بالجندى يشير اليه مقاطعا ،

مصوبا نظراته الى حيث سناء ، رافعا صوته بحيث خرجت كلماته واضحة مفهومة لا تقبل اللبس :

ـ والله ايه رأيك يا آنســة سنـاء .. أنا بزمتك وشرفك ببالغ ؟ مش يدوب الواحد منا بيتلايمله من الخمسين اللى بناخدهم ع التصريح يدوبك على ورقة بخمسة ؟ كده والا لا يا سناء ؟ كده واللا لا ؟!

حشدت سناء نفسها بكل قواها لترد بكل ما تملك من قدرة على الغضب ، بكل ما استدعته الى وعيها من ألفاظ السباب ، بكل طاقتها على الانفعال ، بوجهها الأسمر الذى من احتقانه كاد يسود ، بعينيها اللتين جحظتا الى أمام ، بالارتجافة الشاملة التى اكتسحتها وأرعشت حتى المكتب الذى تستند اليه ، ولكن كلمة ما لم تخرج من فمها ..

ضغطت بكوعيها على حافة المكتب واعتصرت صدرها وتقبضت عضـلات زورهـا وحلقها فى محاولة ثانية للنطق بلا جـدوى . ليس لأنها لم تكن تجد ما تقوله ، ربما لتزاحم ما تريد قوله ، ربما الازدحام الخانق من ألفاظ السباب التى تحفظهـا ، والتى سمعتها وتحرجت طوال حياتها عن ذكرها وأرادت لحظتها بمثل ما لم ترد به أى شىء خلال عمرها كله أن تقولها وتنطقها وترددها مثنى وثلاث ورباع ..

وكادت تجن ، وهذا الضغط الهائل المحتشد داخلها يأبى أن ينطلق أو يجد له منفذا لكأنه كابوس خانق لا يحدث لها فى حلم ، وانما فى واقع يجرى أمامها وكلما مضت ثانية تضاعف احساسها بالرغبة العارمة فى الانفجار وتضاعف احساسها بالقوى القاهرة الخفية التى تبقيها رغما عنها ، غير منفجرة ، حتى صراخ الاستغاثة الذى يصدر من النائم لم تكن تستطيعه كل ما استطاعته انها ، من حلاوة

Loaloo www.dvd4arab.com

الروح ، وقفت فجاة كالملسوعة ، وضمت قبضتين غريبتين كأنهما ليستا لها وخبطت بهما سطح المكتب خبطة وكأنما تقصد بها أن تحطم القبطتين وليس ان تدق المكتب ..

وطوال هذا المشهد الذى برغم طوله اللانهائى الذى أحسته له ، لم يكن قد استغرق بضع ثوان ، أثناءه كان الجندى ، منذ أن ألقى السؤال سائقا العبط على الهبالة ، يراقبها ، راقب كل حركاتها غير الارادية الأولى وهو لا يفهم ، ثم وهو يشك ، ثم وهو يخاف خوفا لا يعرف سببه ، وسرعان ما تحول خوفه الى رعب حين وجدها تفتح فمها عدة مرات دون أن يصدر عنه شىء أو صوت ، ثم تحاول محاولات مستمرة مستميته أن تبتلع ريقها بطريقة تبدو معها وكأن غصصا أخطبوطية خفية كثيرة تتزاحم وتسد حلقها حتى لتكاد تمنعها عن أخذ النفس أو اخراجه ..

وما لبث أن تولاه الذهول حين وجد الخناق الخبيث يزايلها مرة واحدة وتبكى ، بكاء غير عادى بالمرة ، فهو لم يبدأ كالبكاء على هيئة انفعال يتطور الى بكاء . بدأ فجأة ، دافقا غزيرا وتحت ضغط كالاناء المملوء اذا أصابه ثقب ..

وجم الجندى وداخ وتاه وحاول ان يفعل شيئا ، وعلى أقل القليل أن يتكلم ولم يعجز ولكنه وجد نفسه يواوىء ويهوهو ويقول كلمات على هيئة حروف قاصدا ان تكون حروف استفهام يحاول أن يعرف بها ما الخبر وماذا الم بها ..

أما عبادة بك « الزبون » فقد جاء انزعاجه على هيئة حركات مضى يجمع بها أوراقه ويضعها ثم يعود يخرجها من حقيبته الفاخرة وقد بدا أنه يستعد لمغادرة الحجرة ..

وبنفس الغزارة الأولى ، رغم كل محاولاتها لايقاف الدموع ، مضت سناء تبكى بكاء بدا وكأن لا قوة هناك تقدر على ايقافه ،

بكاء تحس له بأضعاف أضعاف سخطها على نفسها حين عجزت عن الرد والنطق ، فقد كان البكاء أسخف تصرف ممكن أن تقوم به لحظتها وكلما أدركت هذا وثارت عليه واستجمعت قواها لايقافه كلما أحست بتصميمها وارادتها تذوب وتتلاشى ووجدت نفسها تمضى باكية سادرة فى تصرف تحنق عليه حنقا لا تجد له ردا الا بكاء آخر ، لقد أحست انها أهينت ، اهانة واضحة متعمدة مدبرة ، اهانة بلغت بشاعتها حدا أخرسها وأعجزها تماما ، وحين ذهب العجز والشلل وأوشكت أن تنطق وتنفجر ها هى ذى لا تفعل الا أن تبكى وتذرف الدموع كأى طفلة ، كأى حمقاء معتوهة ، تبكى ؟!

أيكون هذا موقفها من أخطر وأسفل اهانة وجهت لها فى حياتها بل حتى خيالها، لم يكن ، فى حدود التصور المحض بامكانه أن يحلم بشىء كهذا . فما بالك والاهانة لم تحدث فى الخيال ، وهى واقعة حقيقية لم تفرغ دقائق الزمن من تسجيلها بعد ، والاهانة لم تكن فقط لأنها حضرت واقعة كهذه أو شاهدتها أو حتى لمحاولات محمد الجندى اشراكها ، ولو بطريق غير مباشر فيها . الاهانة الحقيقية انه لابد قد وضع فى اعتباره وهو يرسم خطته ، احتمالا شبه أكيد انها من الممكن أن توافق . الاهانة الحقيقية هو ظنه شيئا كهذا فيها ، وليست اهانة لشرفها فقط وكرامتها وانما الاهانة العميقة هى أن هذا كله وجه اليها من رجل ، الاهانة الأعمق والأخطر انها فتاة ، أنثى ، وأن رجلا هو الذى ظن فيها هذا الظن ربما لو كانت شابا وعوملت بتلك الطريقة لما جرحت هذا الجرح العميق ، لاعتبرت أن ما حدث سبة أو تهمة عادية وجهت اليها ولردتها مضاعفة ، ولكنها أنثى تحس بعمق أن الاهانة التى وجهت الى شرفها هى فى الحقيقة اهانة لانوثتها ، لشرفها كأنثى وليس لشرفها ككاتبة أو كفتاة تعمل ، اهانة ليس ردها الصفع والركل وكيل أقبح الألفاظ فمهينها رجل ، الرجل لا يهمه أن يسب أو يشتم أو تصفعه سيدة ، بل حتى اذا همه وأهانه فهى اهانة لا توجه لشرفه ،

Loolbo
www.dvd4arab.com

قد توجه الى شخصه أو مكانته ولكنها أبدا لا تخدش شرفه ولا تجرحه هذا الجرح الغائر الدامى · ماذا تفعل وهى تحس بشرفها الانثوى مهانا ومجروحا وهى عاجزة حتى عن الرد كرجل أهانه رجل ، عن السب حتى أو الصفع أهناك ما يقتل من الغيظ أكثر من أن تجد نفسها فى موقف المعتدى على شرفها ، الحرة فى رد الاعتداء والعاجزة فى نفس الوقت عن رده ، بكاؤها ، الشىء الوحيد الذى أفلت منها يكاد يعميها غيظا وسخطا ، فرد الاهانة التى تلحق بالشرف ، ردها بمجرد البكاء اهانة فى حد ذاته ، اهانة صادرة منها هى وأى مأساة أن ترد عدوان غيرك عليك واهانته لك بأن تتولى أنت الآخر اهانة نفسك أمامه ، أى عار ··

أخيرا جدا استطاعت سناء أن توقف سيال الدموع ، أوقفته بيدها وأصابعها وقد أعياها البحث عن منديلها الصغير وكأنما تآمر هو الآخر ليزيد من سوء وضعها ومهانته ، ولم تكن تتصور أن باستطاعة انسان أن يكون صفيقا الى حد انه ، بعدما فعل ما فعل يتقدم منها وقد أدرك حيرتها وبحثها اليائس ، مقدما منديله ، وربما كانت هذه الحركة منه هى القشة التى قصمت ظهر غصصها الحانقة المكتومة وقد وجدت نفسها تقذفه بالمنديل وبما أمامها من دفاتر وأوراق وأقلام ، هادرة متشنجة ، صارخة :

ـ لو كنت راجل ما كنتش عملت كده انما انت حيوان ·· كلب ·· قذر ·· يا حقير ·· يا ·· ورحمة بابا لأوديك فى ستين داهية يا مجرم ··

وحتى وهى تقولها منحورة ، مغيظة شبه مجنونة ، لم تحس انها تشتم أو ترد اهانة ، كل ما فى الأمر انهـــا نطقت وانحلت العقدة ،منفعلة لا لسبب الا أن البكاء حين هدرت بالكلمات توقف ··

ثم وجدت نفسها ، منساقة باندفاع كلماتها لا تقوى عـلى البقاء فى الحجرة فغادرتها بسرعة هوجاء حتى بدا وكأن خروجها ذاك أكبر وأعمق وأحط كلمة أطلقتها جعبتها ··

وبخطوات عميـــاء متعثرة انطلقت فى الصـــالة غير حافلة بالأصوات التى كانت تصـــدر طول الوقت عن الجندى ومحاولاته للاقتراب منها واللحاق بها ، ولا بالنداء المستغيث الذى كان آخر ما سمعته منه ··

وبقلب واجف مخلوع ، ووجه فاقد العينين هارب الدماء كانه فى طريقه الى الموت · أسرع الجندى خلفها ··

ولم تعد عيونه الى محاجرهـــا والدماء الى وجناته ولا نبتت تحت أبطيه قطرات عرق السلامة الا حين تأكد تمـــاما انهـــا لم تذهب بعيدا ، وبعينى رأسه شاهدها وهى تتجه الى ذلك الجزء من دورة المياه الذى خصص للموظفات ، وتدخله ، وتغلق وراءها الباب ··

Looloo
www.dvd4arab.com

- ١١ -

وبينما كلف خفاجة بمراقبة الدورة ، كان اجتماع صاخب عاجل ينعقد فى الحجرة ، وينهى فيه الجندى لزملائه ، مستسلما ، قصة فشله الذريع مع سناء ، والكارثة التى تنتظرهم جميعا فيما لو نفذت وعيدها ، والدلائل كلها تشير الى أنها حتما ستنفذ ذلك الوعيد ..

وما كاد ينتهى حتى تطايرت الاقتراحات من كل صوب ، اقتراحات بالمبادرة بالتبليغ عنها قبل أن تبلغ عنهم والباسها التهمة ، اقتراح بكتابة شكوى تمس أخلاقها ، اقتراح بتهديدها والضغط عليها ، وعشرات أخرى من الاقترحات ، لم تتوقف الا حين انفتح الباب فجاة وأطل منه رأس خفاجة ليهمس لهم انها قادمة ..

وعلى عجل هيىء المسرح لاستقبالها واتخذ كل موظف مكانه ودوره ، وبينما تصنع البعض الانهماك ، جلس آخر يعبث بمفاتيح الآلة الكاتبة ، بينما الباشكاتب لم يطاوعه سنه على التمثيل فوقف مكانه كما كان ، كل ما استطاعه أن أمسك بمظروف راح يستخرج محتوياته ببطء ويفحصها بعيدا عن أعين الزملاء ، بعيدا عن الركن الخامس .

ودخلت سناء وقد أصلحت ما أفسدته الدموع من وجهها وعينيها ، وان بقيتا منتفختين قليلا يلونهما الاحمرار . ودون أن تنطق كلمة ، توجهت الى مكتبها ، وراحت تجمع الأوراق وتضعها فى الأدراج وتغلقها ، علامة الاستعداد لمغادرة العمل ، والساعة لم تكن تجاوزت الثانية عشرة الا بقليل وسالها الباشكاتب بطريقة عادية جدا الى أين هى ذاهبة وأجابت بطريقة حاولت هى الأخرى أن تجعلها عادية قائلة انها متعبة طالبة منه الاذن بالمرواح . ورغم دهشة الموظفين المكتومة ، أذن لها الباشكاتب متمنيا لها ، بلهجة أبوية ، سرعة الشفاء ، فقط طلب منها أن تكتب ورقة صغيرة ، اذ هكذا ينص الروتين . وبينما مضت سناء بيد مضطربة وأفكار مشتتة تحاول كتابة الورقة وتمزق المحاولة ، غادر الباشكاتب مكتبه ، وذهب الى مكتبها وبروح الأب أيضا أعفاها من التفكير وأملى عليها الصيغة . وحين وقفت ، أخذ منها الورقة وأعاد قراءتها ، ولاحظ انها نسيت كتابة التاريخ ، فكتبه وبينما هى تتلفت فى حركة عزيزية قبل مغادرة الحجرة ، سألها الباشكاتب ..

– انتى صحيح تعبانه يا سناء ؟!

وحين هزت رأسها مجيبة وقد عاودتها تلك الرغبة السخيفة فى البكاء قال الباشكاتب :

– لا يا سناء .. انتى مش تعبانة .. انتى زعلانة .. ! فيه ايه ؟!

وبينما مضت تصر على أنها متعبة فقط ، ومضى هو يصر ، وبروح الأب أيضا على أن هناك مشكلة ، وعلى اننا كلنا زملاؤها وكلنا لابد أن نحمل هم بعضنا اذا الم بالبعض منا هم ، ظلت المحاورة دائرة وقتا غير قليل ، حتى بدا على سناء الاعياء ، وحتى بدا انها فى المرة القادمة لن تحفل بالاجابة وستترك الحجرة ، حينئذ قال لها الباشكاتب ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ انتى زعلانه م اللى عمله الجندى أفندى ٠٠ شوفى يا بنتى ٠٠

وكان قرار سناء بينها وبين نفسها انهـا لن تسمع ، ولن تسمح لنفسها أن يثار الموضوع أو تكون طرفا فى اثارته ولكنها تعرف بالضبط ماذا أبقاها وماذا فى لهجة الباشكاتب رد لهـا بعض الاعتبار ربما وضعه لها فى موضع القاضى فى الوقت الذى وضع نفسه وزملاءها فيه موضـع المتهمين ٠ ومنصب القضـاء لا يرفض ٠ مهما بلغت وضاعة التهمة ٠٠

وحين بدأت سـناء تقبل الدور وتسـتمع وتعى ما يقول . أحست مرة أخرى بتلك الدوامة تجتاح عقلها ووعيها وكل كيانها ، ذلك الكيان الذى صنعته حياة قوامها اثنان وعشرون عاما من الخبرة والتعليم والمعاناة ، ما بدأت تنصت اليه لم تكن أشياء غريبة على أذنيها فقط ، ولكنها معانى عاصفة مهولة كانت تهب من فم الرجل الطيب وتكاد تقتلع كل ما صنعته لنفسها من كيان ٠ وكأنها كانت طوال حياتها لا تعيش ولا ترى الدنيا أو تحيا فيها لكأن حياتها بكل ما كان فيها من صعوبات وقلاقل كانت لا حياة بجوار ما راحت تسمعه وتعيه ، أو لكأن حياتها هى الحياة ، وما يقال لها ان هو الا وصف لا يعقل لحياة شـاذة منحرفة لا تمت بصـلة الى عالم الأحياء ٠٠

سالها صفوت أفندى الباشكاتب أول ما سالها عن رأيها فيه ، أهو سيء ؟ أفى ملامحه أو تصرفاته معها ما يوحى بالجريمة والاجرام؟ أجابت سناء بالنفى ، فالباشكاتب قد بدا لها طـوال عملهـا معه قطعة من الطيبة الأصيلة ، قلبه قلب والد ، وآراؤه آراء حكيم وخوفه من الله والحساب والميزان لا يقل عن خوف عالم متبحر فى الدين ، ما الذى يدفع رجلا هذا شأنه اذن الى ان يكون شريكا فى عمل قذر تأباه النفوس ٠٠

ـ الدنيا يا سناء يابنتى ٠٠ العيشة ٠٠ أنا ماهيتى كلها بعد الخصومات ١٩ جنيه و ٢٣٠ مليم ٠٠ ومصاريف بيتى فى الشهر ماتقلش عن ٥٠ أو ستين ٠٠ عندى ولدين فى الجامعة ٠٠ وبنتين وولد فى الثانوية ٠٠ وبنت فى المعهد ، وعيلين صغيرين فى ابتدائى ولى أخت مطلقة ٠٠ وقاعدة معايا هى وولادها ثلاثة ، منهـم واحد طلعناه من المدارس وبيشتغل عامل فى مصنع ٠٠ ساكن فى بيت الناس بيحسدونا عليه ومع كده ايجاره ثمانية جنيه ونص ٠٠ بند الأدوية بس بياخد متنا بالميت خمسة جنيه فى الشهر غير الدكاترة ٠٠ لو فى مكانى تعملى ايه يابنتى ؟

ـ أعمل أى حاجة الا كده ٠٠ أعلم ولادى بفلوس حرام ٠٠ أطلعهم من المدارس أحسن وأشغلهم ٠٠

قهقه الباشكاتب بسخرية مريرة ربما لسذاجة الاقتراح :

ـ لو رضيت أنا ـ أمهم ح ترضى ٠٠ ولو رضيت أنا وأمهم ح يرضوا هم ٠٠ ولو اشتغلوا حتى ح يشتغلوا ايه ٠٠

ولكن الحادث على أية حال لم يمر ببساطة ، ولا مر الاتفاق ، ح يكسبوا ايه ٠٠

ـ بس دى جريمة يا عم شكرى ٠٠ سرقة ٠٠ دانت راجـل طيب ٠٠ دا كانك بتمد ايدك فى جيب واحد لا مؤاخذة يعنى ٠٠ وبتنشل منه فلوس ٠٠ ازاى ترضى تعمل كده ٠٠

ـ يا بنتى الأخلاق الكويسة حاجة ٠٠ وأكل العيش حاجـة ثانيـة ٠٠

ـ أكل العيش حتى بالسرقة ؟

ـ يابنتى انتى لسـه صغيرة ع البـر ٠٠ ماشيلتيش هم المسئولية ٠٠ لما تكونى مسئولة عن جيش زى اللى أنا مسئول عنه

www.dvd4arab.com

وكل يوم لازم تسدى ٢٠ بق مفتوحين لك مش ح تسميها سرقة أبدا ٠٠ أنا باسرق مين ٠٠

ـ المواطنين ؟

ـ دول أغنية ٠٠ وأنا ما باخدش غصب عنهم ٠٠ هم اللى بيدفعوا من نفسهم ٠٠

ـ يبقى الحكومة ؟

ـ الحكومة خسرانه ايه ٠٠ هو أنا بختلس من اموالها ٠٠ حق الحكومة محفوظ ما حدش بيقدر يمد ايده عليه ٠٠

ـ يعنى رأيك مافيهاش حاجة أبدا انك تعمل كده ٠٠

ـ معاك ان فيها حاجات كتير ٠٠ فيها وفيها وفيها ٠٠ انما حطى نفسك فى موقفى تعملى ايه ٠٠

ـ أنا شخصيا لا يمكن ٠٠ لما أموت أنا وأهلى م الجـــوع ما أقدرش أمد ايدى على حاجة حرام ٠٠

ـ انت ما تقدريش ٠٠ احنا غصب ، عننا لازم نقـــدر ولازم نمد ايدينا ، فايه رأيك فينا ٠٠ ح تتصرفى معـــانا زى ما قلتـــى للجنـــدى ٠٠

ـ أنا قلت له كده عشـــان هو ٠٠ هو مش محتـــاج زيك وأخلاقه وحشه و ٠٠

وهم الجندى ان يعترض وقد احتقن وجهـه بالغضب ولكن الباشكاتب أشار اليه يسكته ومضى يقول ٠٠

ـ بس احنا معاه ٠٠

ـ يبقى انتو أحرار ٠٠

ـ أحرار ازاى ٠٠ مش فاهم ٠٠

ـ يعنى انتو فى سكتكم وأنا فى سكتى ٠٠ أنا ماليش دعوة بيكم ٠٠ أنتم كبار ومسئولين عن نفسكم قدام ربنا وقدام الناس ٠٠

ـ وليه ما تكونيش ويانا ٠٠

ـ أنا ٠٠ والله لما يتقطع دراعى ٠٠

ـ وليه يابنتى التزمت ده ٠٠ احنا عارفين برضـــه وعارفين أزمتك وعارفين أخوكى عايز على الأقل عشرة جنيه عشان يمتحن ٠٠ وادى انت شايفه أهه ٠٠ يعنى مش ح تكونى متمسكة بالأخلاق الكريمة والدين والذمة أكثر من واحد زيى ٠٠ ما تخلينا سوى سوى ٠٠ تفكى أزمتك ونفك أزماتنا واهى ماشية ٠٠

ـ ياعم شكرى أفندى ٠٠ أرجوك ٠٠ أى كلام بالشكل ده بينرفزنى وح يخلينى أتهور ٠٠ انتو فى طريقكم وأنا فى طريقى٠٠

ـ وهو كذلك ٠٠ بس على شرط ٠٠ ماحدش منا يتدخل فى طريق التانى ٠٠

ـ عنى أنا ٠٠ خدها منى كلمة شرف ٠

ـ وعننا احنا ٠٠ أعدك بشرفى ٠٠ الفاتحـة على كده ٠٠ ورد الجميع قائلين ، الفاتحة ٠

وتململت سناء قليلا ، واستغربت ، ماذا حدث للدنيـــا ، أيقراون الفاتحة لتكريس اتفاق شائن كهذا ، ماذا حدث للناس ٠

ولكنها ، تحت الحاح العيون المنتظرة ، هزت كتفيها ، ومضت تتمتم بالفاتحة ، وحين وصلت الى منتصفها تقريبا خيل اليها انها اخطأت فى التلاوة ، فأعادت القراءة من جديد وكالخاطر العابر تذكرت انها لم تقرأ الفاتحة من زمن بعيد ، منذ أن كانت طفلة تصلى

www.dvd4arab.com

وتذكرت أيضا الحاح أمها عليها بالصلاة ، وتأجيلها التنفيذ دائما ، ماذا تقول أمها اذن وهى تسمع هؤلاء يقرأون الفاتحة صحيحة سليمة ، ويقرأونها فى اليوم مرات ويصلون ويحجون ويسمون الرشوة أكل عيش ، ترى ماذا تقول ؟

ولكن الحادث على أية حال لم يمر ببساطة ، ولا مر الاتفاق فلقد ظلت سناء محط الشكوك لفترة ، وكلماتها وكل حركة من حركاتها ظلت محل دراسة وافية ونقاش ، والجميع يميلون الى افتراض انها تخدعهم أو فى الطريق الى خداعهم والباشكاتب وحده يقف فى صفها ويؤكد انها لن تفعل ، وان عهد البنت وكلمتها ، على عكس مايقال ، كلمة واحدة متى قالتها لاتتراجع عنها ، ومن ناحية أخرى لم يعد الأمر يزاول بالبساطة الأولى ، مجرد علمهم ان سناء زميلتهم الموجودة معهم فى مكتب واحد تعرف وتسكت ولكنها لاتشاركهم « اللعبة » مجرد علمهم هذا أحاطهم بجو من عدم ارتياح غامض : كانت مزاولتهم لأعمال المكتب الثانى كجماعة ·· قد أضفت على العمل نوعا من القانونية ومحا عنهم كل أثر للاحساس بالذنب ، سناء بوجودها ، واشمئزازها ، ونظراتها جعلت احساسا جديدا يبدأ يزحف ، احساسا بخرق القانون ، بارتكاب معصية · وقد تجسد هذا على هيئة ضيق شديد بسناء ووجودها ورغبة ملحة فى التخلص منها ، حتى الجندى ، دفعته تلك الأحاسيس المتضاربة الى الكف عن مطاردتها نهائيا ، وحتى الى الكف عن الاحساس بها كفتاة ، فلم يعد أبدا يختلس النظر الى شفتيها ، ويزدرد ريقه كلما توقف بصره عند شفتها السفلى ، وهو الذى كان لا يتصور أو يقبل أن يحاول أحد ابعاد سناء عن المكتب وحرمانهم منها ، بدأ يتمنى فى أحيان لو ذهبت ·· وبدأت رغبته فى وجودها تتعادل ككفة الميزان مع رغبته فى ذهابها ··

ان المذنب لايحسد البرىء ، انه يكرهه ، ويحس به كأنه ضميره ، وكان الضمير هو الجزء البرىء فى قلب المذنب ، وسناء ،

ذلك الجزء الركن الخامس البرىء فى المكتب كانت قد أصبحت كالضمير المقيم الذى لا يتحرك ، والذى لا تخفى عليه خافية ، والذى يقابل كل مايدور أمامه بالصمت والسكون ·· ليتها كانت تتكلم او تنصح أو حتى تشتم ، ليتها تفعل أى شىء الا أن تسكت ·· والكارثة انها ضمير مؤنث ، ان الرجل لايخجله كثيرا ان يرتكب الخطأ أو الحماقة أمام زميله الرجل ، أى رجل ،ولكنه يخجل ببشاعة أمام الأنثى ، أى أنثى ·

وكان طبيعيا جدا فى مثل ذلك الجو ان تحدث ارتباكات فى مزاولة العملية ، فمحاولات كل منهم للتخفى واستدراج الزبون بأقل ما يمكن من الضجة ، وبسرعة لا تثير الانتباه ، وبالذات انتباه سناء ، هذه المحاولات ، كانت غالبا ما تفشل ، وكثيرا ماتصدر عن الزبون كلمة أو اشارة تفضح ، فيفقد الموظف أعصابه ، ويعدل عن الصفقة نهائيا بين عجب الزبون ودهشته ، ويصر على أن يأخذ القانون مجراه وفى اصراره ذاك يرفع صوته ويعظ ، ويحاضر ، ويكاد يشهد الجدران والمكاتب والأثاث على مايقول · ثم بدأت تحدث منافسات وبدا كأن كلا منهم يريد أن يبدو أكثر من الآخر غيرة على القانون ، وفى مقابل هذا ، بدأت تحدث اتفاقات خاصة ، وبينما الواحد منهم يرفض فى العلن ويصر على الرفض اذا به يتفق سرا مع الزبون ، ويتقاضى الثمن وحده ، بعيدا عن أعين الزملاء ، بعيدا عن الركن الخامس ··

Looloo
www.dvd4arab.com

- ١٢ -

ـ خفاجه ٠٠ انت ياهباب انت ياللى اسمك خفاجه ٠٠

ـ يافتاح ياعليم ٠٠ نعم يامحمد أفندى ٠

ـ شيل القهوة دى ٠

ـ ليه ٠٠ مالها يامحمد أفندى ٠

ـ زفت ٠٠ قطران ٠٠ قرف شيلها لحسن ودينى أرميها فى وشـــك ٠

هكذا انفجر محمد الجندى فى الرجال ، وبعد أن وجه اليـــه الأوصاف الثلاثة الأول ، مضى يدور بأبصاره ، ماسحا الحجـــرة بناظريه هادرا فى كل وجه من أوجه الزملاء يواجهه :

ـ دا لا قهوة نافعة ولا طيب نافع والناس بقت عايزة الضرب بالجزم ٠٠ عايزين كرباج من بتوع زمان يسوقهم ٠٠ أصـــل احنا كده ولاد (٠٠٠٠) مانجيش بالذوق أبدا ان ماكانش الواحد ياخد على دماغه ما ينفعش ٠٠ شيل القهوة يا حلوف ٠٠ شيلهـــا بقولك ٠

ويبدو ان صوته الصارخ الزاعق وصل الى الحجرات الأخرى اذ ما لبثت رؤوس ما أن بدت تطل ، ولا تستغرق وقتا كبيرا لتكتشف انها نوبة أخرى من نوبات محمد الجندى ، فتتراجع منسحبة ، خائفة أن يصيبها من شتائمه رذاذ ٠

ولم يكن أحد يجهل السر ، فايراد المكتب الثانى كان قد بدأ ينخفض انخفاضا ملحوظا ، وعيون الرجـــال الكبار فى المصلحة والوزارة قد بدأت تحمر وتتلمظ وتلمح ، وأحيانا تجهر ، بالاتهامات والشكوك ، غير مستعدة أن تصدق أن السبب ممكن أن يرجع أبدا الى وجود الموظفة الجديدة كما يدعى الجندى ، غير ملقيـــة بالا أو اهتماما الى محاولة الجندى « سبك » الدور ومطالباته المستمرة بنقلها أو التخلص منها منهية مقابلاتها معه بهزات رؤوس مهددة تهديدا يعلم الجندى خطورته بحيث تلقى كل اهتزازة رأس الرعب الاسود فى أعماقه ٠

غير أنها نوبات ، مهما طالت لابد أن تنتهى ، ويعود الجندى يجلس الى مكتبه ، ويعود الهدوء يسود الحجرة ، ولكن ، أى هدوء ؟ والعمل بشقيه تقريبا توقف ، وخلف الهدوء الظاهرى يكمن تحفز ، وتحت جلود الوجوه الطبيعية جلد أصفر شاحب شـــحوب الخطر وترقبه ، شحوب الحالة « ج » حتى سناء ، مصدر الخطر كانت هى الأخرى قد بدأت تستشعر أن ثمة أمرا محيرا غريبا يحدث ، لا من وراء ظهرها ، ولكن أمام عينيها ، وان كانت لا تراه ولا تستطيع تحديده ، هاهم جالسون مثلا يرفرف عليهم سقف واحد ، وتضمهم جدران أربعة ، ولكن أية حواجز هائلة قائمـــة تحول بينهـــم ، أو بالتحديد بينها هى وبينهم ٠ لأول مرة تحس بعمق أنها لا تفهم هؤلاء الرجال ، وانها بينهم كالطفل الغريب اليتيم التائه فى مدينة لا يعرفها ٠ لأول مرة تحس أنهـــم يكونون عالما ثانيـــا تجهله ، وتخافه ، وتحس به معقدا تعقيدا بالغ الوعورة مجرد تأمله يخيف ٠

Looloo
www.dvd4arab.com

نفس خوفها الذى لا تجد له تفسيرا كلما اعترت محمد الجندى احدى نوبات زعيقه وهياجه وشتائمه ·· محمد الجندى الذى طالما استثار اشمئزازها الصارخ والذى طالما القت عليه نظرات احتقار لو أحسها لصعقه الاحساس · مالها حين يبدأ يشخط ويهدر حتى لو كان يخاطب خفاجة أو الحظ أو الصباح المقيت ، تتوالى دقات قلبها ، وتخاف خوفا يدفعها لتأمل محمد الجندى تأمل المذعور تأملا لا يحمل كرها أو اشمئزازا تأملا لاترى معه ملامحه سائلة صفراوية لزجة ، وانما تراهـــا غاضبة وكأنما قد تجمدت سيولتها فجأة وتحولت صفرتها حمرة ، حمرة الغضب ، ولزاجتها صلابة ، وعيونه الخضراء الشاحبة توقد فيها نار جهنمية وكأنما يوقدهـــا الشـــيطان حتى اذا ما استدار ومستها لمحة من وجهه الغاضب ·· خافت واقشعرت وأصبحت كل أمانيها أن يهدأ ويذهب عنه الغضب ليعود ذلك الكائن الذى لايخيف ·

وأيضا لم يكن خوفها مجرد خوف بسيط · على الاقل ليس مجرد الخوف من زميلها الغاضب ، فقد كانت تحس بغضب الجندى يكشف لها ويحمل معه علامات من ذلك العالم الآخر ، عالم الرجال الذى تحس بهم فيه أكثر جرأة وأعنف انفعالا ولغضبهم قدرة كبيرة على التحطيم والتخريب ، لكأنما كلب رجالى خشن الصوت حاد الناب سيخى النظرات قد انطلق من مربطه فى أعماق الرجل فجـــأة الى كلماته وتصرفاته وملامحه ومضى ينبح ويهدر ويهدد ·· ينشب أنيابه المسنونة فى كل ما يعترض طريقه ··

خوف مركب أبشع ما فيه ان سناءه فى الحقيقة ، فى ذلك الجزء الخفى من الحقيقة الذى لايطلع عليه أحد سواها ، وأحيانا تخجل حتى أن تطلع نفسها عليه ، لم يكن خوفها الأكبر بسبب احتمال أن يفقد الجندى وهو غاضب صوابه وينشب فيها أظافره وأنيابه وانما لاحتمال أغرب لا يكاد العقل يصدقه ، أن يفقد صوابه ويتعرى

أمامها كرجل مثلا ، أو أن ينقض عليها وقد انطلق فيه الرجـل الكلب من عقاله ويغتصبها هكذا فجأة ، وقبل أن يتمكن أحد من الدفاع عنها ، بل حتى قبل أن تتمكن هى من الدفاع عن نفسها ··

أيام لاتستطيع حصرها ، لا لكثرتها أو لقلتها ولكن لانها كانت مجرد يوم واحد متصل طويل ، تذهب فيـــه الى العمل متمنية أن يكون كل شىء قد تغير ، والوضع كالكابوس مر وانتهى ، وبهذه الروح تدخل المصلحة فى خفة ، وتحيى خفاجة بابتسامة واســـعة وتعرف انها مبكرة أكثر من اللازم وأن أحدا من زملائها لم يحضر بعد ، فتجلس تنتظر التغير الذى تتمناه وتترقبه محاولة أن تستشفه من طريقتهم فى قول : صباح الخير · ومن الثامنة والنصف يبدأون فى الحضور ، ومن أول الباشكاتب ، الى محمد الجندى آخر القادمين تخرج التحية فاترة لا روح فيها ولا طعم هذا اذا لم يتشاغل بعضهم عن قولها أصلا · لا تغيير ، وكأنها هى التى أذنبت وكأنهم ليسوا هم المخطئين · وتمضى الساعات ، بطيئة ساكنة ، تكاد تكون كالقوارب فى بحر لاهواء فيه ، لا تتحرك ، وهى تعانى من شعور غير المرغوب فيه ، الحساس للكلمة ، أى كلمة حين تقـال وأى كلام لايقـــال ، قلقة تغادر مكتبها كل خمس دقائق مرة ، تجوب المصلحة ، وتزور الزميلات وتدهش حين يحادثها الموظفون الآخرون حديث الند للند البرىء الى البرىء ولكنها تعلم انه حديث الى حين ·· ففى الحجرة مشكلتها وعبئا ذلك الحل الذى تحاول العثور عليه لدى الآخرين · كانت قد اشـــتهرت فى المصلحة بـ « البنت القنزوحـــة بتاعت التراخيص » صفة كانت تحنق عليها علنا ، وتعجب بهـــا سرا ، وتعمل على أن تظل محتفظة بها · ورغم احساسها أن كثرة التجوال فى الحجرات والمكاتب والحديث الى كل من هب ودب يذهب عنها المكانة الخاصة التى تحتلها ، الا انها كانت لاتملك منع نفسها من الحديث والتجوال ، لتعود منهكة بعد رحلاتها المتعاقبة الى الحجرة وكأنما بارادتها تعود تسجن نفسها بين الوجوه الأربعة التى تبدو

Looloo
www.dvd4arab.com

لها اسمك من الجدران · سجن وان كان يضايقها الا انها تأبى فى أعماقها أن تتخلص منه · فبمثل رعبها من غضب الجندى وزهقها من الزمن الساكن المتوقف ورغبتها المتأججة أن تعرف ما يدور فى أعماق سجانيها الأربعة · بمثل هذا وأكثر منه كانت مستعدة لان تحتمل الضيق الخانق الى أقصى مدى فقط لكى تعرف ماذا سيحدث بعد هذا أو ماذا يمكن أن يحدث ، شغف كالشغف العارم لمعرفة نهاية قصة بدأت فجأة وسرعان ما ركدت أحداثها وتوقفت ولكن لابد أنّ هناك نهاية لها ، لابد ··

- ١٣ -

وربما لهذا السبب تضخم احساسها بيوم الأحد وتضاعف ترقبها له . هى التى لم تعره أول الأمر عناية ما ، وحين ذكر الخبر أمامها ودعيت لم تحفل لا بالخبر ولا بالدعوة ولا خطر لها احتمال أن تفكر فى الذهاب ، فما أهمية أن يكون ليسرية زميلتهن المعينة مساعدة لأمين المحفوظات ، عيد ميلاد ، يحل يوم الأحد ، وتهتم به اهتماما يدفعها الى التفكير فى حفلة ، والى دعوتهن ؟! ما أهمية شىء كهـــذا ؟!

اليومان التاليان كشفا عن أهمية غير عادية للحفلة ، على الأقل بالنسبة لسناء ، فالحفلة كانت ستضمهن جميعا هن الخمس ، ولأول مرة سيجمعهن مكان مغلق خارج العمل وبعيدا عن أسماع المصلحة والموظفين ، وسناء كانت قد بدأت تؤمن انها وحدها ، ليست ندا للموقف ، وصحيح انها كما وعدت لن تتحدث فى موضوعها بالذات ولكن ربما تحدثت أخرى ربما تناقشن جميعا ، ربما صدرت عن احداهن كلمة قد تضىء ، كفنار النجاة لها الطريق ·

وكادت تندم على حضورها وعلى كل الآمال التى علقتها فبعدما انقضت ساعة فى بهجة مصطنعة وكأنها تقليد غير متقن لماركة بهجة

Looloo
www.dvd4arab.com

حقيقية لابد موجودة فى مكان ما على سطح الأرض ، وضحك فى فشله التام للتعبير عن المرح تكاد تضحك عليه ، آن لهن أن ينفردن بأنفسهن وقد ذهبت القريبات والصديقات اللدودات كلهن ما عدا واحدة داعرة القهقهة والنظرات أصرت على البقاء وحين بدأن يتحدثن عن المصلحة والعمل حديثا تافها أول الأمر ، يتناول وجهة نظر كل منهن فى « دم » هذا الموظف أو ذاك ، وفلان ده ياختى عليه · عليه حتة طابع حسن يجنن ··

بدأت الصديقة أو القريبة لا أحد يعرف ، تعلق من عندها هى الأخرى تعليقات داعرة كأنها صادرة عن امرأة كشفت عن نفسها كل حجاب ، متسائلة بشغف المحرومة ، عن احساسهن « الجسدى » بزملائهن الموظفين ، مبدية اشمئزازها من خيبتهن وكسوفهن الذى لا يليق بموظفات مثلهن يقبضن كالرجال الماهية فى « آخر الشهر » وكأنها لا ترى فى العمل سوى طريق مختصر الى الرجل أو « الذكر » فى الرجل منطق بدا لهن ، حتى لبهيجة صاحبة « القصة » والضحكة واللبانة مثيرا للغثيان ، والغريب أن تشترك بهيجة بالذات معهن فى الشعور فقبل بضعة أسابيع كانت يكاد يكون لها فى العمل نفس الرأى ، بل لم لا نقول انه السبب الحقيقى لبحثها عن العمل وتفتيشها عن الوظيفة ، كأنما كانت تفتش عن حظيرة للرجال هم موجودون فيها بمختلف الأنواع والأشكال والأحجام بحيث تصبح كل مشكلتها أن تختار ، ماذا حدث حتى أصبحت مشكلتها بعد بضعة أسابيع من الوجود بالحظيرة ومن الاحتكاك بالرجل فى مجال الوظيفة وبعد موعد أو اثنين خرجت فيهما بلا حماس كبير مع زميلين لها ماذا حدث وانساها هدفها الأساسى وفقد الرجل طعمه القارص الأول ، وبدأت تجد له فى نفسها مذاقا جديدا ، لا يلدغ ، ولا يجعل جسدها يقشعر ، ولا يصيبها بأى احساس يمت الى الجنس أو الجسد بصلة، وأصبح كل ما يعنيها فى الحظيرة أن تعرف من هو الرئيس من المرؤوس ومن صاحب المستقبل ، اذ هناك ، فى مؤخرة عقلها ، كانت

مشاريع المغامرات قد تغيرت بقدرة قادر الى مشاريع لدهشتها ، زواج زوج تختاره بعقلها المجرد عن الهوى وبوعيها المجرد عن الشعور ، بل فى أقل من شهر تطورت مشاريعها تطورا آخر وأصبح همها لا أن تسعى « للترقى » عن طريق اختيار الزوج الأرقى فى الوظيفة والمستقبل وانما للترقى عن طريق أن ترقى هى وتحتل الوظيفة التى يتنافس على خطبة صاحبتها المتنافسون ، ولا بأس هنا من استعمال كل الطرق وأى الطرق للحصول على الوظيفة الأحسن ، بالعمل المتواصل لكسب رضاء الرؤساء بالشكولاته أو البونبون أو بأنوثتها حتى · أى تطور خطير أصابها ، هى التى ذهبت تفتش عن الرجال فى العمل « لاشباع » أنوثتها فانتهت فى أقل من شهرين الى التفتيش عن العمل ونتائج العمل فى الرجال حتى لو اضطرها الأمر « لاستعمال » أنوثتها ، وجعلها وسيلة للوصول فى ذلك الميدان الجديد الذى اكتشفت فى حظيرة الرجال وجوده ؟!

وحتى فيما وصلت اليه كانت تعليقات السيدة الجالسة واضعة فخذا فوق فخذ تتحدث عن كل ما هو « عيب » بانطلاق زائد وكأنما هى العالم المتبحر يطرق موضوعه المفضل ، السيدة الغريبة التى استنكرت حين سألتها ان كانت تشتغل ، مجرد السؤال ، باعتبار أن العمل « عيب » لا يليق بالسيدة الفاضلة أن تترك بيتها لأجل أن تزاوله ، السيدة التى تفخر بأنها « ربة بيت » ، وتلتقط مواقف العيب لتخوض فيها وتتوسع معتقدة انهن مادمن يرتكبن العيب الأكبر ويعملن فلن يمانعن قطعا فى مزاولة العيوب الصغرى مثل الحديث عن العيب والنكات والقفشات العيب ·

كلمات كانت وجوه البنات تخضر لها كاشارات المرور ، وتصفر وتحمر ويشعرن لدى سماعها ان مسافات شاسعة الطول قد حملتهن بعيدا بعيدا عن عالم « حريمى » آخر قائم وعتيد وكن الى أسابيع قليلة مضت من رعاياه وعبيده ·· عالم المرأة فيه فى نظر الرجل ،

Looloo
www.dvd4arab.com

وبصراحة قد تجرح ، فى نظر نفس المرأة أيضا ، عيب متجسد يرتدى الفساتين ويتجمل بالمساحيق وكل رغبـــة لها أو مطلب تحمل فى ثناياها وصمة عيب أبدية ·· خلقت عيبا وستظل الى يـوم مماتها عيبا ، تلك هى الحقيقة الوحيدة الراسخة فى عالم الحريم والرجال الذى كن يحيين فيه وكل ما عداها من حقائق لا يفعل أكثر من أن يؤكد تلك الحقيقة الكبرى ويعمقها · من أسابيع قليلة مضت خرجن من عالم العيب هذا الى عالم اللاعيب ، اللاخطأ ، عالم اللارذيلة ، عالم الرجال خرجن من عالم كل ما فيه ومن فيه حرام الى عالم كل من فيه وما فيه حلال ، وبضعة أسابيع قضينها فى المصلحة ، فى الأرض المحايدة ، فى العمل ، حيث لا تسرى قوانين البيت والمجتمع ، حيث لا تسرى قوانين الأخلاق ، حيث القانون الوحيد المطاع هو قانون العمل حيث الخطيئة الكبرى لمن لا يعمل · بضعة أسابيع أتاحت لهن أن يرين الرجـــال ويرين أنفسهن ، لأول مـــرة ، متجردين ومتجردات عن العيب واللاعيب ، عن الحرام والحلال ، بدأن بعدها يقتنعن أن للحياة قوانين أخرى ، وأحكاما تختلف عن الأحكام الأزلية اختلافا شاسعا كبيرا ، كبر المسافة الكائنة بينهن وبين السيدة الجالسة واضعة فخـذا فوق فخـذ تتحـدث بفخر الأسيرة بأسرها والعبدة بسيدها ومحور حياتها ، عن العيب ·

ويبدو أن السيدة قد أخذت وقتا طويلا تضحك فيه ببجحة وتسخسخ فيه بارادتها لدى ذكر الرجال وعالم الرجال ، قبل أن تدرك أن الأخريات لا يشاركنها ، وبمعنى أصح يتفرجن عليها تفرج المشمئز · ودون أن تخجل أو تؤنب نفسها قالت :

ـ ده انتو الظاهر جد أوى ·· دانا مش بتاعت كلام من ده أنا ست بتاعت حظ وفرفشه وانتو باينكم خام أوى أوى ·· لا ·· اسمحيلى ياختى يا يسريه أصلى أنا ما أستحملش الجد أبدا ·· بيعمل لى ارتكاريا يا حبيبتى وأنا مش ناقصة هرش ·· عن اذنكم ··

وكأنما انزاح عن صدورهن هم ثقيل أو كانت السيدة رجلا

يخجلن من الحـديث أمامه · والتشبيه ليس من عندى ، لقد جاء على لسان سناء وهى تشيع المرأة وتكاد تسمعها الكلمات ، تشبيه ضحكن له ، وما لبثت (نور) خريجة التجارة أيضا وكاتبة الآلة فى السكرتارية أن علقت عليه قائلة :

ـ أهو احنا دلوقتى لا احنا ستات على ناحية ولا رجاله على ناحية زى ما نكون عملنا جنس تالت ·

فقالت سناء :

ـ ما هو لازم يحصل كده ما احنا ستات انما بنقوم بعمل رجاله زى الرجاله لما بيقوموا بشغل الستات ·· زى الترزى اللى بنفصل عنده وزى الأسطى ابراهيم الكوافير ·· مش تلاقوهم برضه ستاتى شوية ·· نواعمى كده ·

ثم أضافت ضاحكة :

ـ زى احنا ما ابتدينا نخشن شويه ··

ولكن مجرى الحديث تغير فجأة ، مالت نور على يسرية · وقالت لها شيئا · رفعت يسرية بعده صوتها فى شبه صرخة :

ـ يا نهار أبيض ، وعندنا كمان !

ـ ايه هو اللى عندكم ؟!

ورسمت نور بابهامها وسبابتها مصطلح « الفلوس » وقالت سـناء :

ـ فى السكرتارية كمان ؟ أنا كنت فاكرة عندنا بس ··

وهكذا ، وبانزلاقة فجائية وجدت سـناء أنهـا وزميلاتها قد أصبحت فجأة فى قلب المشكلة ·

Looloo
www.dvd4arab.com

ولا تدرى لماذا أحست بكل تلك الفرحة الطاغية التى اجتاحتها لمجرد علمها أن قسم التراخيص ليس هو الوحيد الذى يقوم بالعمل الآخر الثانى ..

وشهدت الغرفة الصغيرة التى كانت مسرحا للاحتفال المتواضع أكثر من خبطة على كف ، وارتعاشات يد علامة البراءة والاستنكار بينما الصدور تتهيأ ، وكأنها مقبلة على سباق ، لتقص كل منهن على الأخريات أغرب وأعجب واقعة رأتها فى حياتها ..

وبعد قصة من نور وأخرى من نجاة بدأن يدركن أن قصصهن متشابهة الى حد بعيد ، وان لا غرابة الا فى انها حدثت لكل منهن على انفراد ، والا فى انها صادرة عن جنس غريم آخر .

هنا كففن عن الحكى واصدار آهات الدهشة والاستنكار وبدأت تظهر على الواحدة منهن اذا تحدثت علامات دالة على تفكير فالحديث قد اتخذ وجهة نادرا ما يتخذها حديث النساء عن الرجال ، اذ هو لم يكن يدور عنهم كرجال وانما عنهم كآكلة عيش ، وعن الوجه الآخر لعالمهم ، عالم المسئولية وآكل العيش ، العالم الذى أقاموه واحتكروه واحتفظوا بمفاتيح أسراره ، العالم الذى تكفل بصبهم فى قوالبه وتكوين أمزجتهم وصنع هياكل شخصياتهم وقيمهم ، قالت نجاة :

ـ عندنا محمد أفندى راجل زى أولية الله تمام ، حاجج مرتين وطول النهار السبحة فى ايده وطول النهار يكلمنا عن الى يصح والى ما يصحش والمصيبه انه مش بيدعى ، ده حد ، تلقيه كريم وعنده نخوة شرف ونبل آخر شرف ونبل وأعرف لك بعد كل ده قال انه بياخد على كل استماره جنيه . معتبرها عيب وكل حاجة انما يقول لك على رأيه : هادى نقره يا ولد عمى وهادى نقره .

ـ وتروح بعيد ليه .. رئيس الادارة بتاعتكم يا سناء راجل بيلعب بوكر بدينه وقال ايه قبل ما يلمس الورق يقرا الفاتحة .

وتدخلت نور صاحبة الحفلة :

ـ طب أنا بعينى بقى شفت الحكاية دى . الراجل الى ساكن تحتنا ده موظف فى شركة لو كنتم هنا امبارح كنتو سمعتوا الصراخ جايب من آخر الشارع وكل يوم والتانى مولد بالشكل ده ، وعلشان ايه ده كله ، حضرته بينزل ضرب فى ابنه لما بيجى متأخر من بره ، ومتأخر دى عنده يعنى بعد الساعة عشرة . كويس كده .. ايه رأيكم لينا واحد قريبنا بيشتغل معاه لما سمع الحكاية دى مات م الضحك وقال مش معقول ده ، أى حد تانى معقول ، انما الراجل ده بالذات.. ده معروف عنه زى الشمس انه بيورد الستات لكل الموظفين الكبار فى الشركة .

ـ ومستغربة ليه .. هادى نقره يا ولد عمى وهادى نقره ..

وارتفعت ضحكاتهن عالية وما لبثت سناء أن قالت مواصلة نغمة السخرية :

ـ الظاهر الرجاله دول عندهم لكل مبدأ دوسيه .. الشرف فى بيته غير الشرف فى عمله والحرام فى الليل غير الحرام فى النهار والفضيلة ما تمنعش الرذيلة كله موجود مع بعض فى حالة تعايش سلمى ..

ثم اعتدلت جادة لتكمل آراءها « الفلسفية » بقصة حقيقية عن رئيسها عم صفوت أفندى ، الرجل الذى هدهد عليها كالأب وحاول أن يقنعها باقتسام الرشوة والذى لا تخلو جملة من جمله من حديث شريف أو آية قرآنية . من يومين كان صفوت أفندى يحكى لى كيف اكتشف مرة أن مع ابنه الصغير أصبع طباشير ملون ، سأله عن مصدره ، فتلجلج ، وحقق معه فعرف انه أخذه من صندوق الطباشير فى حجرة الرسم دون علم المدرس وكيف ظل ساعة يشرح له خطاه ويوضح له الجريمة التى ارتكبها وكيف أمره فى النهاية أن يذهب

Looloo
www.dvd4arab.com

فى الغد الى المدرس ويعترف له بما حدث ، ويرد الاصبع وكيف لم يفعل الولد وكيف ضربه وأخذه من يده فى الصباح وذهب معه الى المدرسة وجعله يعترف للمدرس أمامه بما فعله ويطلب الصفح والمغفرة • قصة من فم عم صفوت أفندى حكاها عرضا ودون أن يكون له من وراء حكايتها هدف ، وعم صفوت أفندى هذا لا يجد عيبا أبدا فى الحصول بطريقة غير شريفة بالمرة على نقود تشترى آلاف أصابع الطباشير ؟ وأنهت سناء قصتها قائلة انها لا تزال الى الآن حائرة مع عم صفوت أفندى لا تعرف كيف تحكم عليه اذ ما الحكم على نفس الشخصية والمنطق والعقل حين تنهى عن الشىء بحرارة وصدق حقيقيين فى نطاق ، وبحرارة وصدق ترتكبه فى نطاق آخر، كيف تحكم عليه •

وبدأ الحديث يتعثر وقد استغرقتهن جميعا تأملات ، وبدأ الحديث يأخذ شكل الاحكام ، أحكام تدين الرجال وتشمئز من عالمهم المنقسم على نفسه وذواتهم التى تحيا بمائة وجه ومنطق ، وأحكام أخرى تصدر وتحاول أن تجد العذر وتغلفها صاحبتها بكلمة عطف، والجميع يسيطر عليهن الشعور بأن هؤلاء الرجال وان كانوا أكثر منهن خبرة وقدرة الا انهن هن يكتشفن أنهم أكثر منهن قذارة أيضا ، وأنهن بعالمهن قد يكن أكثر تخلفا وضيق أفق الا أنهن أيضا أكثر نظافة •

ـ المسألة مش مسألة قذارة ونظافة يا جماعة ••

ـ أمال المسألة ايه يا نجاة ••

استدرن اليها متسائلات ، اذ كن قد بدأن يعين أن نجاة دأبت منذ بدء الجلسة على الدفاع بعطف ولباقة عن عالم الرجال المزعوم ذاك •

ورمقتها نور بنظرة ماكرة مستكشفة قائلة •

ـ سيبيكى انتى تلقيهم غمزوكى بحاجة •

قالتها نور شبه هازلة ، وبهزل أيضا ضحكن عليها ، نجاة وحدها هى التى أخذتها ، لدهشتهن ، جدا ، وما ان راحت تدافع عن نفسها وتستنكر وتبالغ فى ابداء علامات النفى والاستنكار حتى بدأن يخمن ، شبه مروعات ، أنها تكذب ، وأن عالم الرجال والأخلاق وأكل العيش من الواضح أنه قد نجح فى ابتلاع واحدة منهن ، على الأقل واحدة •

خسارة يا نجاة •

Looloo
www.dvd4arab.com

- ١٤ -

كان المفروض أن نتتبع سناء بعد خروجها من الحفلة وهى محملة بمزيج متباين من الانفعالات اذ كانت رغم كل شيء قد سعدت بالحفلة واجتماعها بزميلاتها وكسر الروتين الذى يخطط حياتها تخطيطا صارما غير مسموح لها أن تخرج عليه ، فتاة من المدرسة للبيت ومن البيت للمدرسة وحين انتهت أيام الدراسة وجاءت أيام الوظيفة استمرت الحلقة المفرغة أيضا مع استبدال المدرسة بالمصلحة. وكل ما تسمح به ظروفها من ترفيه أن تدخل السينما مرة كل أسبوع أو أسبوعين مستصحبة أخاها الصغير أو احدى قريباتها ، وحياتها العاطفية لم تزد كالعادة عن غرام صامت مع ابن الجيران أيام ان كانوا يسكنون شبرا ، ثم تلك المغامرة الفاشلة الأخرى أيام المعهد ، أيام ان كانت صديقتها الصدوقة كوثر تحب وكانت تستصحبها معها للقاء حبيبها الطالب فى كلية الطب البيطرى ، حين وجد الحبيب أن خير حل للانفراد بكوثر أن يأتى معه بصديقه عمر الطالب بكلية دار العلوم الذى يشبه رغم أنه من ميت غمر مشهور السينما مارلون براندو أو على الأقل هكذا كانت تصر العزيزة كوثر . ويشبهه أو لا يشبهه فقد أحبت فيه خجله الشديد الى درجة أنهما قضيا ثلاثة أشهر يلتقيان يقطعان شوارع القاهرة

الجانبية سيرا ، دون أن يلمس يدها بل حتى دون أن يذكر كلمة واحدة تدل على شعوره ناحيتها ، ورغم هذا ، فالصخرة التى تحطم عليها حبهما كانت الحب ، ليس ممارسة ولكن كنقاش ، اذ ظل هذا الخجول الطالب بدار العلوم شبيه مارلون براندو الذى لم يجد فى نفسه الشجاعة يوما لأن يزحزح حدود النصف متر الذى كان قائما كحد أدنى لأى مسافة بينهما ، ظل يناقشها ليقنعها « بحب الجسد » باعتباره النوع المثالى للحب بينما ظلت تصر هى على « حب الروح » وتتمسك به ، وانتهى النقاش وقد انقطع كل ما بينهما من علاقات ، ان كان ثمة علاقات كانت بينهما .

وهناك تلك الحادثة الغريبة التى جرت لها مع زوج خالتها الشاب حين جاء لزيارتهم فوجدها وحيدة فى البيت ودون أن تدرى وجدت القرصات والضغطات والكلمات الهامسة التى كان يخصها بها كلما أتيحت له الفرصة أثناء زيارة عائلية أو من تحت طرابيزة سفرة ، وتأخذها هى على محمل يمكن التغاضى عن براءته لزوج الخالة ، حين وجدت هذه فجأة تتحول من علامات مبهمة قابلة للشك وغفران الشك الى واقع فاجر سافر ، هى فيه بين ذراعيه القويتين اللتين اطبقتا عليها غدرا ، ولكن ، لا المفاجأة ولا الاطباقة ولا السرعة التى حدثت بها الحادثة كانت السبب فى رعبها ، الرعب الذى اجتاحها وشل ارادتها وجعلها تناضله مناضلة النائم فى كابوس لا يخرج عن حلقه صوت ولا يملك رفع اصبع ، هذا الرعب كان لسبب أكبر وأخطر ، انه زوج خالتها ، المحرم عليها ، والمحرمة هى ، كأمه كأخته كخالته ، الرعب أن يستحل رجل لنفسه ، أى رجل ، مهما كان سيىء السمعة والأخلاق مثله ، أن يفكر ، مجرد تفكير ، فى الشيء الذى لم يفكر فيه لحظتها وانما كان يفعله .

وصحيح ان ما حدث ، وبالطريقة المجنونة الشاذة التى حدث بها ، لم يكن قد أفقدها ـ عدا الاهانة ، شيئا يذكر ، الا أن الحادث

Looloo
www.dvd4arab.com

كان أبشع وأضخم حدث مر بها ، الى تلك السن ، فى حياتها ٠ لقد ظنت انها أبدا لن تعود سناء التى كانتها ، وان تلك العاصفة الآثمة الهوجاء سوف تجعلها تكفن نفسها الى آخر الزمن فى ثياب حداد تام ٠

ولكن ، وهذا هو الغريب ، لم تتوقف الحياة بسناء كما كانت تظن عند هذا الحدث ، ولا تكونت لها ، مثلما يحلو لبعض الكتاب والخبراء المزعومين فى النفس البشرية عقدة ، فلا هى خافت من الرجال ، ودفعها الخوف الى الانطواء ونبذ الدنيا ومتعها والتقوقع ولا هى أصيبت بالعقدة الأخرى ، واندفعت ، تحت تاثير هذا الاتصال العيب المحرم فى طريق الانحلال ونبذ القيم لا شىء من هذا قد حدث ، فهناك عامل ، نسيته سناء يومها ، وينساه بعض الكتاب وخبراء علم النفس فى معظم الأحيان ، الزمن ، ليس الزمن المجرد ، ولكن الزمن والانسان ، والأيام وهى تقبل بيضاء وتغادرنا ماضيا ممتلئا بالأحداث والذكريات ، ونستقبلها فى مرحلة ونغادرها وقد أضيف الينا الزمن وتكون من خليطنا ، منا ومنه مزيج حى ، كائن جديد آخر غير الذى خاض التجربة ٠

الحدث الهائل كان حدثا هائلا بالأمس لاننا كنا نحياه ونواجهه ٠

أما وقد مر بنا فقد أصبحنا جزءا من تاريخه كما أصبح هو جزءا منا ، نتوءا هنا أو أثر لجرح هناك ٠ أثر لا يختلف عن بقية كياننا وجسدنا الا فى اختلاف لونه وبروز سطحه والألم الذى يصدر عنه اذا نحن بوعى لمسناه ٠

أو قد يحول الى شىء آخر ، بوظيفة أخرى ، مثلما حدث لسناء فرغم نوبات الضيق الشديد والاستنكار والتقزز التى كانت تنتابها كلما رأت زوج خالتها أو جاءت سيرته وأحيانا بغير أن تراه أو تأتى سيرته ، رغم هذا فلن تستطيع أن تنكر على نفسها ان شيئا فيها قد استجاب ووافق وارتعش لتلك التجربة الأولى التى

صممت أن تكون الأخيرة ، والتى فى أحيان قليلة جدا ، خاصة فى ليالى الصيف كانت تجد نفسها رغما عنها تفكر فيها ، وبطريقة تزعجها للغاية ، اذ تفكر وكأنها تتمنى أن تعود التجربة بشرط أن يتغير البطل ، وبشرط أساسى ثان ٠٠ أن يحدث كل شىء كما حدث فى المرة الأولى ٠٠ بغير ارادة منها ٠٠ هكذا ٠٠ عنوة واغتصابا ٠

وكذلك لم تكن تجارب سناء قد توقفت عند هذه التجربة الغريبة اليتيمة ، ولا ظلت طويلا مثلها مثل يوم عرض الرشوة من محمد الجندى ، « أبشع وأضخم » حدث فى حياتها ، تلك الفتاة السمراء المسمسمة التقاطيع الجذابة المؤدبة ظلت تجرب باستخفاء كثير ومن بعيد لبعيد ، وبتورط أحيانا ، وبفضائح محدودة الانتشار فى أحيان ، ولكنها دائما فى وسط الحياة ، ودائما داخلها يحفل بالنوازع والعواطف والأحياء ٠٠ دائما هناك مرشح للزواج من قبل الأهل ، ومرشح للحب من قبلها ، فاذا فشل المرشح والمشروع بعد أيام تبدو فى الأفق رائحة آخر ، وآخرين ، ونيران تنهش صدرها للعريس اللقطة اذا طار ، والعشق الصامت طالما أرق لياليها ، وأقربها ذلك الاعجاب الخفى الذى تكنه لزميلها فى المكتب أحمد الطويل ، الاعجاب الذى لا يفصح عن نفسه الا بأمنية أن تحدث معجزة لتنقل مكتبه مكان محمد الجندى فى مواجهتها ٠

ورأسها الصغير رغم شعرها الناعم الغزير ملىء بالأحلام أيضا ، باقتناء الملابس الفاخرة الأنيقة ، بحياة الثروة والغنى ، بالطموح ، أحلام تتغير هى الأخرى وتتجدد اذ بينما كانت تحلم فى العام الماضى بجوانتى من الجلد الفاخر المبطن بالفرو فى هذا العام هى تحلم بأن تبلغ فى وظيفتها شأوا ومرتبا تستطيع أن تدفع منه أقساط عربة نصر ١١٠٠ ٠٠ وتسوقها ٠٠ وحدها ٠٠ وتفسح أمها ، وتذهلها بها ٠ وكل هذا رائع وجميل وليس أسهل من ملء الصفحات به ، فسناء ، وحياتها ونقاط حياتها اذا تقاس

Looloo
www.dvd4arab.com

بالحياة تكون اذا أردنا ذكرها بالتفصيل ملايين الأشياء وملايينها ، حتى لو نحن فقط تتبعنا سناء من لحظة أن غادرت حفلة بهيجة زميلتها · عن عمد سنغفل أشياء كثيرة حتى لا نفقد فى غمارها ذلك الخط الواهى الدقيق الذى يحدد لنا مجال حركتنا خلال القطعة الصغيرة من بحر الحياة الزاخر التى اخترناها ·

وآجلا أم عاجلا كنا سنصل الى يوم الأحد التالى ، الذى ذهبت فيه سناء الى المكتب وقد قضتْ ليلة من أتعس لياليها ، يوم لن تنساه أبدا ، فقد كان الأحد ، وغده الاثنين ، يوم امتحان أخيها ، ذلك الذى عليه فيه قبل أن يدخل الامتحان أن يدفع المصاريف ويأخذ الايصال ، وبدون هذا الايصال لا دخول ولا امتحان ·

لم تكن أول الحاضرين كعادتها فى الفترة الأخيرة ، وصلت فوجدتهم جميعا جالسين الى مكاتبهم بنفس أنهكها التفكير ودبل خضرتها ، حيتهم وجلست ، وقد عقدت العزم على أن تنتهز أى فرصة تلوح لتروى لهم كل شىء ، ولتطلب منهم ، هكذا ودون خجل أو تردد ، أن يجدوا لها حلا · يومها كانت مستعدة أن تقتل أو تسرق أو تصنع أى شىء فى سبيل أن تحصل لأخيها على قيمة القسط ، فليلة الأمس بكى ، لأول مرة تراه منذ أن كبر يبكى كما كان يفعل وهو طفل ، كانت تتناقش مع أمها فى كيفية الحصول على النقود ، وطرقا بنقاشهما كل الأبواب والاحتمالات دون جدوى حتى بات واضحا ان النقود لن تأتيهم الا اذا فتح الله سبحانه سقف حجرتهم واسقط لهم من خلاله قيمة القسط · وكان النقاش قد استغرقهما الى درجة نسيا معها أن أسامة موجود بجوارهما ، ولم يفطنا لوجوده الا حين سمعتا بكاءه والتفتا ليجدا دموعه تلمع بكثرة فوق وجهه ، وخيبة الأمل مرتسمة بصورة واضحة تنطقها ، رغم طفولتها الخرساء ـ ملامحه · مس مرآة هكذا شعور سناء مسا سريعا حاسما داميا كقطع المشرط ، ولحظتها صدر عن كل ذرة من كيانها قسم

تلقائى مفاجىء غير منطوق ودون أن تعى أو تريد ، قسم انها لابد واجدة حلا ، لابد صانعة المستحيل وما هو أكثر منه كى لا يذرف أسامة دمعة أخرى أو ترتسم على وجهه هذه الصورة الخرساء لخيبة الأمل ·

وأصبحت الساعة العاشرة دون أن تحين الفرصة ودون أمل حتى أن تحين فرصة ، وأمل سناء كان قد أصبح مركزا كله فى هذه الساعات القليلة التى ستقضيها بالمصلحة ، اذ ما لم تنجح فى الوصول الى حل قبل الساعة الثانية فقد انتهى كل شىء · حقيقة لمحت ، من كثرة المرات التى ضبطت فيها عيون زملائها وهى تحدق ناحيتها انهم لابد أدركوا انها فى حالة غير عادية ، ولكن أحدا منهم لم يتعد فى اهتمامه بحالتها أكثر من مجرد النظر · أليس فيهم رجل أوتى ذرة من نخوة يستطيع أن يلقى اليها سؤالا ، مجرد سؤال ؟ هل أصابهم الصمم والعته ؟

كان الزمن ، على عكس عادته ، يمضى بسرعة خارقة ، فما أسرع ما أصبحت الساعة العاشرة والنصف ، مضت الف وثمانمائة ثانية دون أن يجد جديد ·

ولكن ، فى تلك اللحظة بالذات جد جديد ، فتح الباب ودخلت نور · بنت حلال حقيقة يا نور ، جئتنى فى وقتك ، حيتهم نور واتجهت الى سناء تحييها التحية الخاصة ، وتنتظر سناء أن يتحرك محمد الجندى الكلب ويصنع مظاهرته المعتادة ، أو حتى حين تريثت ، وردت تحية نور بطريقة مهمومة مكرومة أن تسألها نور عما بها ، بلا جدوى · لكأنما هناك مؤامرة ، أو لكأن الجميع يعرفون المأزق ، ويتركونها عن عمد تختنق وحدها به · انتظرت سناء السؤال المعتاد من نور عما فعلوه لحل مشكلة مصاريف أخيها ، ولم يأت السؤال · كل حديث نور انصب على مباراة الأمس بين الزمالك والاهلى وكيف انها لو كانت رجلا لنزلت الى الملعب وضربت الجناح الأيمن للزمالك ذلك الذى ضيع المباراة على فريقه ، علقة ساخنة · ومن المباراة

Looloo
www.dvd4arab.com

استطردت تتحدث بلا مناسبة عن تليفزيونهم الجديد الذى حل موعد تسلمه ليوم وكيف انها ستخرج مبكرة وقد عهدت اليها الأسرة بمهمة احضاره و ... وبدأت نور فى تشطيب الحديث والتحرك حركات القلق فوق مقعدها علامة التهيؤ للرحيل دون ان يبدو عليها انها تذكرت أو فى سبيلها لتذكر السؤال ، أكثر من هذا غادرت المقعد فعلا وقالت : أسيبك بقى .. باى ..

وكاد الأمل الذى علقته ســـناء على مقدمها ان يخبو تماما وينطفىء ، بل خبا فعلا وانطفأ . حينئذ لم تستطع الصبر ، وانطلقت الكلمات مستغيثة من فمها : اسمعى يا نور . والتفتت نور وأشارت لها سناء أن تعاود الجلوس وقد بدا واضحا أن ثمة شيئا هاما تريد اخبارها به . وحتى حين فعلت ذلك كادت نور تعتذر محتجة بأوراق عاجلة عليها أن تعرضـــها حالا . غير ان ســـناء كانت قد قررت الا تتراجع ، وهكذا ظلت تلح حتى عادت نور تجلس ، جلوسا على مضض . وكانت سناء تتوقع من كثرة ما دأبت نور على سؤالها واهتمامها بالمشكلة أن تفزع ، أو على الأقل تدهش ، حين تندفع تروى لها الموقف الفاصل الرهيب الذى صار اليه الوضع . ثم انها حرصت على أن تروى الموقف بكل تفاصيله بصوت عال كأصوات الخطباء لا يصل فقط الى آذان زملائها ولكن يخترقها اختراقا وينتزعها من أى عمل . ولقد روعت سناء للنتيجة ، فقد استمعت نور باهتمام مصطنع ، حتى وسناء تتوقف عند دموع أسامة وتسهب فى وصف وقعها على نفسها لاحظت أن نور رغم اهتمامها الظاهر سرحانه ، بل حتى حين جابت الحجرة واركانها الأربعة بطرف خفى من عينيها لم تر واحدا ترك عمله واعتدل أو ترك اعتداله وانتبه أو حاول بسؤال أو استفسار أن يصبح طرفا ثالثا فى الحديث .

ـ والنبى زعلتينى ياسنسن .. وانتى عارفة وحياة ماما أنا لو كان معايا القسط ما كنت اتاخرت .. انما ضرورى حتلاقى حل

ان شاء الله .. عن اذنك بقى لحسن المفتش زمانه مشى وتبقى وقعتى ســـوده .

وقبل أن تنطق سناء ، كانت نور قد اخترقت الحجرة جريا وخرجت من الباب .

والتفتت سناء الى الزملاء فوجدتهم ولا كأنهم هنا ، ولا كان أحدا سمع أو رأى .

وتسمرت فى كرسيها وقد دهمها الشعور الضاغط القاهر الذى لابد ساور كلا منا فى لحظة من حياته .. الشعور بأنها وهى وسط الدنيا المزدحمة بالناس والأصدقاء والأقارب والمعارف وحيدة منبوذة كأنها مريض مصاب بالجذام أو خاطئة يتبرأ الكل منها .. الشعور الذى يجعلنا نرثى لأنفسنا رثاء يدفعنا ، حتى أقوى الأقوياء مثل للبكـــاء ..

ولكن شعور سناء كان واضحا مكشوف الوجه صاعقا الى درجة حرمتها حتى من نعمة البكاء ، بل دفعها الى القيام بعمل لم تكن تتصور ولو فى الأحلام أن تقوم به ، اذ وجدت نفسها بعد قليل تذهب الى صفوت أفندى وتلح عليه أن يفرغ لها قليلا ، ثم تحكى له المشكلة وتسأله ان كان لديه حل . وكالقاضى الذى لا أثر العواطف فى كلماته يفهمها الرجل انه لا يملك لها أى حل ، وحتى السلفة على ماهيتها يلزمها اجراءات تستغرق يومين على الأقل ، وسكت بينهما الحديث باستغراق متعمد آخر من جانبه فى العمل تاركا اياها واقفة غير قادرة حتى أن تقرر ما اذا كان باستطاعتها أن تعود الى مكتبها وتجلس .

كل ما استطاعت أن تفعله أخيرا وهى فى وقفتها تلك هو أن تجوب الحجرة بنظرات مستغيثة مسلوبة الروح كانت تدرك انها الأخيرة وانها للتأكد ليس الا . نظرات مضت تصوبها الى الجدران

Looloo
www.dvd4arab.com

والدواليب والمكاتب والوجوه المتعمدة الانكباب على الأوراق وهى تدق بالحاح هستيرى مجنون .. النجدة .. النجدة .

ومن كل اتجـــاه كانت نظراتها تعود بغير أن تعلق بها بادرة استجابة واحدة . وكان رد الوجوه على استغاثتها تماما مثل رد الجدران .. الصمت المطبق التام .

- ١٥ -

ولأن المعجزة الالهية لم تحدث ولا فتح السقف فى الليل ، وتساقطت منه نقود فقد جاء الصباح التالى ، وليس فى البيت سوى الجنيه الذى كان موجودا ليلة الأمس .

وجاءت الساعة السابعة لتجد سناء قد استصحبت أسامة الى المدرسة حاملة كل مالية الأسرة ، ذلك الجنيه ، مؤملة ، أملا سخيفا ، أن تتنازل المدرسة مثلا فى آخر لحظة عن شرط دفع المصاريف ، أو أن تستكتبها تعهدا أو أى احتمال آخر يعادل فى غرابته وبعده عن الواقع حكاية السقف الذى يفتح وتسقط منه النقود .

وأتعس ساعة قضتها سناء وهى ترى التلاميذ جميعا يتهيأون لدخول الامتحان ، ويحيون أسامة ، وأسامة يخجل من رد التحية . ثم وهى ترى بضعة تلاميذ آخرين قد استصحبوا كأسامة ، أولياء أمورهم الذين تجمعوا حول الصراف الذى كان قد وضع لنفسه تختة وكرسيا ، كالمحصل ، قريبا من مكان اللجنة . ثم وهى تكتشف أنهم جميعا سددوا وأخذوا الايصالات وقبلوا آباءهم علامة الفرحة ، وان أسامة هو الوحيد الذى لن يدفع ، وهو الوحيد الذى حين دق

Looloo
www.dvd4arab.com

الجرس ، بقى واقفـــا بجوارها يراقب زملاءه الداخلين الى العنابر والفصول ويبكى ، ويمنعها بكاؤه من البكاء ، ثم تفاجأ به ينطلق من جوارها راكضا باقصى قوته ، مخترقا باب المدرسة الى الشارع الى حيث لم تعد تعلم ٠

وبقيت هى وأمها على نار حامية حتى عاد لهم ، مطـــأطىء الرأس ، ذليلا ، قرب الظهر ٠ ودون أن ينطق حرفا ٠ خلع ملابسه ، وارتدى البيجاما ونام ٠

وبالضبط بعد ثلاثة أيام كان الجرح الجديد قد التأم وأصبح بؤلم فقط حين تتحسسه سناء أو يتعرض رغما عنها للمس ٠ ونحن فى الحياة لا ننسى ولا تلتئم جروحنا بالاستشفاء أو تغيير الجو أو بالفاجأة السارة حين تقبل ، نحن ننسى الجرح بجروح أخرى طازجة نصاب بها وتستحوز على اهتمامنا ، وسناء فى اليوم التالى وجدت مشكلة تنتظرها وتهددها فى وظيفتها وعملها ، مشكلة اليوم الذى تغيبته دون اذن ، ودون حق فى أجازة عرضية أو اعتيادية ، والحق الوحيد الباقى ، الحق فى أجازة مرضية كان يلزم للتمتع به شهادة من طبيب ، تكلفها على الاقل خمسين قرشا أو بالدقة سبعة وثلاثين قرشا ونصف ، فقد اقتضى الأمر نزهة لأسامة وأكلا لحلويات وسهرة فى سينما وتصوروا ان هذه الشهادة ذات الخمسين قرشا كادت تكلف سناء وظيفتها لولا ما طلت به وجهها من وقاحة وجرأة والحت على زميلاتها فى المصلحة رغم اعتذارهن وتحججهن بآخر الشهر حتى جمعت منهن ثمن الشهادة ، خلال يومين من السؤال الدائب المتصل !

وهكذا ما كادت تنجح فى دفع هذا البلاء ويحتسب اليوم من أجازتها المرضية ، وتتنفس الصعداء حتى أدركت أنها فى خضـــم ما حدث ، نسيت اليوم المؤلم تماما وأصبحت أقل حساسية لذكره ، بل الحق أفاقت لتجد نوعا من عدم المبالاة قد أصبح يصبغ تفكيرها وآراءها وتصرفاتها ، وكانت اللحظة الصاعقة التى عانت فيها من

الشعور بأنها مبعدة منبوذة قد جعلتها هى الأخرى تبدأ تنبذ الناس فى تفكيرها وتصرفاتها ، لم يعد مهما أن تحظى برضائهم عنها ، وبين يوم وليلة ملأها الشعور بأنها لا تملك فى هذه الدنيا ولا يجب عليها أن تراعى سوى نفسها ٠ شعور لم يك عميقا خافيا ، لقد ظهر حتى لزميلاتها وزملائها ولاحظوه واتخذوه مادة لتعليقاتهم ٠

وكل هذا شىء قد يستطيع العقل عضمه وقبوله ، أما الذى لا يمكن أن يستوعب العقل وقوعه فهو ما حدث فى ذلك اليوم الثالث حين فوجئت ســـناء بمحمد الجندى ، وقد خفت الآونة الأخيرة نوبات هياجه وثوراته ، ينظر لها نظرات باسمة لا تصدر على هيئة شعاعات مبتسمة ، وانما كأنها تسيل من عينيه لتختلط صفراويتها ولزاجتها بملامحه الشاحبة المفرطحة التكوين ، نظرات ذكرتها بأيام العمل الأولى وبمحمد الجندى حين كان يتراءى لها أثقل دم خلق الله أجمعين وأكثرهم استثارة للاشمئزاز والغثيان ولكنها ، وهذا هو الغريب ، لم تجفها هذه المرة كذلك لا لأن محمد الجندى كان قد تغير فى نظرها أو تبدل ولكن لأنها هى نفسها كانت قد تغيرت ، الى أين وكيف ، لم تكن تدرى ، كل ما تعرفه انها لم تشمئز من نظرات محمد الجندى لها ٠ وربما هذا ما شجعه الى أن يرفع الدوسيه بعد قليل ، ويبدأ يهمس لها من خلفه : ازيك يا حلو ٠٠ والنبى شفايفك دول مجننينى ووحشينى ٠٠ وحشينى موت حتى وانا جنبهم طول النهار وحشـــينى ٠

لابد أن هذا الرجل مصـــاب بخلل فى قواه العقلية ، ذلك ما فكرت فيه سناء ، لكنه لم يكن حكمها النهائى فلسبب ما ، حين اختلطت صورته الحاضرة مع صورته وهو ثائر غاضب يهدر الرجل الكلب الذى فيه وينبح ويرعبها ما لبث حكمها الأول أن أصيب بهزة تبعثرت على أثرها كلماته وحروفه وتطايرت وبقى الأمر فى حاجة الى رأى جديد وحكم جديد لا تعرف بعد كيف تصوغه أو حتى تحدد ، قبل صياغتها ، معالمه ٠ لقد أخذ هذا الرجل من تفكيرها ما لم يأخذه

Looloo
www.dvd4arab.com

انســـان ما عرفته • تفكير حقيقة كان معظمه اشمئزازا اجترارا للاشمئزاز ولكنه تفكير فيه والسلام • ورغم كل هذا لم تستطع الى الآن أن تخرج من تفكيرها بنتيجة ••

كل الفرق أن سناء لم تجزع ولم تجفل هذه المرة من كلماته ولم ترغم آذانها وعيونها على صمم وعمى اجباريين حتى تنفى لنفسها نفيا باتا أنها سمعت أصلا أو رأت • هذه المرة لم تطرف عيناها . ومضت تحدق فيه غير هيابة أو خجلة • واغرب ما لاحظته ، الشيء الذى كاد يفقدها الوعى ، انه كان لا يكذب وان فى نظراته ونبراته صدقا قد يستبشعه العقل ويأبى رصده ولكنه موجود • وقد تخطى سناء فى حكمها على عشرات الأشياء ولكنها أبدا لا يمكن أن تخطىء رنة الصـــدق وهو يقـــول : حتى وأنا قاعد جنبك ودين النبى وحشـــانى ••

ولنفرض جدلا أنها اخطأت الحكم فأى تفسير آخر تستطيع أن تفسر به آخر شيء كان باستطاعة محمد الجندى أن يفعله ، حين واجهته بنظرتها المحدقة الفاحصة فاذا به حين أكمل الجملة وحاول أن يبدأ غيرها يتلجلج وتفشـــل محاولته ، ثم لا يلبث تحت وقع نظراتها أن يرتبك ولا يقوى على مواجهتها ويخفض عينيه ثم بحركة غريزية وزيادة فى حجب نظراتهـــا عنه يلصق الدوســـيه بوجهه ويخفيه •

كادت ســـناء من أعماقها تنفجر ضـــاحكة ، محمد الجندى يخجل ؟! وممن ؟ منها ؟! بل فقط من نظراتها ؟! لابد أن شيئا خطيرا مهولا قد حدث للدنيا •

ولكنها كتمت الرغبة فى الضحك وان كانت قد حلت محلها رغبة فى الكلام ، فى كلام تقوله لمحمد الجندى وأيضا لم تتكلم مؤثرة أن تفعل حين تلوح الفرصة •

ولاحت الفرصة قرب الظهر حين خلا المكتب الا منه ومنها • فجأة وجدت نفسها تقول للجندى :

ـ انت ايه حكايتك بقى ياسى محمد ياجندى •

حملق فيها بعينين اتسعتا فجأة فلم يكن يتوقع أبدا أن تحادثه وان تكون البادية ، وبالكاد استطاع عقله أن يستوعب السؤال وحين بدأ يجيب كان عليه أن ينظر اليها ، ولانه كان لابد له حينئذ الا يظهر ارتباكه وخجله فقد استمر يواجهها بعينيه ، ولكنه فى الحقيقة لم يكن يراها ، كان فقط يواجهها بعينين عطل الخجل وظيفتهما قال :

ـ حكايتى ايه ؟ مش عارفة حكايتى ؟ طبعا ايه يهمك انت منى ومن حكايتى •

ـ لا ••• أنا عارفاها كويس واشتكيتك مرة واتنين عشانها وعملت البدع عشان تبطلها وكنت بطلتها وخلاص ايه اللى رجعك تانى تبص وتقول الكلام السخيف بتاعك ده •

ـ اذا كان ع التبطيل أنا من ناحيتى مابطلتش ولا يوم ولا ساعة ولا ثانية أما سكوتى المدة اللى فاتت فده كان عشان حضرتك أهنتى كرامتى ، وأنا قولى فى اللى قاله مالك فى الخمر انما كرامتى دى عندى أهم حاجة فى الدنيا •

وضمت سناء نفسها وتماسكت بقوة فضحكة واحدة كانت كفيلة بأن يفلت منها الموقف الى الأبد • واستمر الجندى يقول :

ـ أنا يمكن تشوفينى كده انما أنا والله انســـان حســـاس ، الشعرة اذا مست كرامتى اتكهرب • وانتى يا آنسة سناء أهنتينى أكثر من مرة ، انما كله كوم ويوم ماشتمتنى كوم ، يومها قررت انى الفيكى من حياتى ولو انتحر ، وفضلت كابت نفسى وساكت لغاية النهارده بقى ماقدرتش أنا •• آنا ••

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ وانت فاكر انك كنت يومها تستاهل الشتيمة وبس ، انت فاكر انت أهنتنى يومها ازاى ·

ـ أنا ·· لا حول ولا قوة الا بالله ·· أنا كان قصدى مصلحتك كان قصـــدى أخدمك ولولا كده عمرى ما كنت فتحت الموضـــوع ده قدامك ·

ـ أكبر خدمة ·· ونروح بعيد ليه ·· لو وافقت كانت حصلت حكاية أخوكى دى ·

ـ معنى كده انك كنت سامع ·

ـ أيوه كنت سامع وعارف ·

ـ طيب يا أخى بدل كلامك السخيف اللى بتقوله من وراء الدوسيه كنت سلفنى القسط ·

ـ آه ·· جينا للكلام المهم ·· عندك حق ·· انما تعرفى أنا يشرفى ما كان يومها معايا الا ييجى خمسين قرش انما ده مش السبب ، كنت أقدر أستلفهملك حالا كنت أقدر على الأقل أقول لك كلمتين حلوين يواسوكى انما تعرفى عملت كانى مش سامع ولا دارى ليه ·

سكتت سناء · ولم تشأ أن تسأل ليه · غير أن الجندى عاد يلح ويقول :

ـ قوليلى ليه ؟

وتشبثت بسكوتها أيضا وان كان حب استطلاع كبير كان ينهش قلبها ، وأصر الجندى على سؤاله :

ـ ما تقوليلى ليه ·· مش عايزه تعرفى سبب ما يخطر لكيش على بال ·

هنا تغلب حب الاستطلاع ووجدت سناء نفسها تقول :

ـ أيوه يا سيدى ·· ليه ·

وطفح البشر من ملامح الجندى وكان مجرد موافقتها على سؤاله كانت أضخم نصر سجله خلال حياته ومضى يقول :

ـ قولتيلى ليه ·· السبب ياستى انك بصراحة كنتى عايشة فى أوهام ، لسه خارجة م المدرسة ولا تفهمى حاجة من الدنيا بتاعتنا دى اللى مطلعه عينا واللى مطلعين عنيها · كنتى ح تعرفيها ازاى الا بكدة الا انك تنزنقى زى ما انزنقنا ومالقيناش الى يسمى علينا قلت : سيبها ياواد عشـــان تعرف ان الفلوس هى الـ master key والا أنا غلطان ·

اندفعت سناء تقول :

ـ انت مش غلطان ، انت فسدان ، كلكم كنتم فى يوم من الأيام بنى آدمين وبعدين لقيتم حد علمكم الكلام ده وفسدكم وخلاص دلوقتى كل همكم انكم تفسدوا الناس وتحللوا الفساد فى نظركم عشان يغلطوا ويتورطوا ويبقوا زيكم ومايصبحش فيه حد أحسن من حد · انت لازم تعرف نفسك كويس · انت صحيح لابس بدلة واسمك السيد محمد الجندى وليك مكتب ومحترم انما انت زيك زى أى نشال فى الشارع أو أى حرامى غسيل · سبتنى عشـــان أتزنق ولو كل واحد اتزنق فك زنقته بالسرقة أو بالقتل كان زمان الدنيا بقت كلها حرامية وقتالين · انما ده مابيحصلش لأن الناس دايما بتساعد المزنوق ، عمرهم ما يسيبوه يقف لوحده ، ولما يسيبوه عشان يدوق الزنقة يبقوا هم الغلطانين هم المجرمين بالضبط حكمهم حكم اللى بيحرض على الفساد · انت كنت مش عايزنى أدوق الزنقة ، انت بتكذب على نفسك انت كنت عايز تحرضنى عشان امشى فى الطريق الغلط ، انما ده بعدك ، أنا نضيفة وح افضل طول عمرى ان شاء الله الدنيا كلها تتوسخ ، نضيفة ··

Looloo
www.dvd4arab.com

وأول ما اندهش لهذا « الخطاب » الحار المتدفق كانت سناء نفسها فكأنما هو درس وعته وحفظته عن ظهر قلب · أما ما ظل يحيرها فهو تساؤلها عن كنه هذه الخطبة ، ترى هل هى تعبر عن رأيها الحقيقى أم مبعثها انها تريد أن تحقر الجندى لموقفه منها ، أم هو كلام تتمنى أن يكون رأيها الحقيقى ·

أما الجندى فقد ذهل · طوال عمره ومنذ أن كف أبوه عن ضربه وعقابه وصب الأوامر والنصائح كالزيت المغلى فوق رأسه منذ مات كأنما عاهد نفسه بعدها ألا يستمع لنصيحة أحد سواء أكان مخطئا أم مصيبا وسواء أكانت النصيحة من عاقل أم أحمق ، بل لقد جعل شعاره بوعى منه وبغير وعى أن يخالف كل ما يقال له من نصائح وهوايته الكبرى أن يعصى القوانين · ان القانون يظل عدوه اللدود الى أن ينجح فى خرقه ، والتعليمات تظل عبئا لا يطاق الى أن ينجح فى العثور على وسيلة يستطيع أن يتحايل بها عليها · وليست فقط القوانين واللوائح المكتوبة ، أكثر من هذا وأبعد ، كل ما يأخذ شكل القانون ، اذا تصادف ووجد الرخام أو القيشانى فى أى دورة مياه يدخلها لامعا نظيفا أنيقا لا يستريح الا اذا أخرج قلمه الكوبيا وخطط وشخبط حتى يشوه من المنظر · اذا جلس على مقعد عربة الاتوبيس سرعان ما يخرج سلسلة مفاتيحه وبها المطواة الصغيرة ذات السلاح الحاد الذى يفتحه ويعمله فى جلد الكرسى ، وفى تخف شديد ، يقطعه حتى يطل القطن ، وفى بوية الجوانب حتى يظهر معدنها · واذا أردته أن يكرهك كره العمى انصحه نصيحة أو انقده نقـــدا ·

وحين بدأت سناء تتكلم ، ولم تكن أولى كلماتها توحى انها ستمضى هكذا ترص ذلك الخطاب الطويل · حين بدأت يدا معها ضيقه الشديد وتذمره ، ولكنه ، وربما لأنه وجد نفسه للمرة الأولى

فى حياته فى موقف لا يستطيع فيه أن يرفض الاستماع ، فالمتحدثة كانت سناء ، والحديث كله أول حديث جاد يدور بينهما ويتطور الى أن يصبح نقاشا عليه فيه أن ينصت جيدا ويعى ليمكنه أن يرد ، وربما لهذا وحين طال أمد انصاته واصغائه ، بلا عداء يكنه للمتكلمة أكثر من هذا بحب أو بعاطفة قريبة جدا من الحب ·

حين حدث هذا كله وجد الجندى نفسه فى محنة لم يستعد لها فحقيقة وللمرة الأولى يجعله كلام شخص آخر يبدأ يشك فى صحة رأيه وطريقته وموقفه من الحياة ، تلك التى لم يتطرق اليه الشك فيها يوما ، على الدوام كان هو الصح وعلى الدوام اذا كان هناك خطأ فهو حتما وقطعا وبلا جدال خطأ الآخرين ·

حادث لا يمكن أن يقع أو يحدث ، مستحيل ، شىء مفروغ منه لا يحتمل جدلا أو نقاشا ·

ولكنه مجرد شك انتابه ، للانصاف أشباح شك أجل الحكم لها أو عليها الى ساعة يخلو فيها لنفسه ويفكر بعمق فيها · أما فى تلك اللحظة فالحديث لا يزال متصلا ، وسناء انتهت من كلماتها ، وتنتظر اجابته فقد وجد نفسه بابتسامة غير محدودة المعنى أو الهدف يقـــول :

ـ كلامك كله جايز ياست سناء وكل اللى يهمنا انك تبقى انتى وتفضلى حلوة ونضيفة وفوق الناس كلها ، ويمكن عندك حق ·· ايش جاب لجاب ·· انتى فى السما فوق واحنا فى الأرض يمكن تحت الأرض كمان ·· احنا ناس حرامية حلل ·· مين عارف ما يمكن احنا كده صحيح وماحناش عارفين ··

كان يريد اجابة يمجد فيها من سناء ويتملقها ولكنه لا يدرى كيف انقلبت الى كلمات ذليلة ، ذليلة وبلهجة ذليلة مستٍ وترا فى قلب سناء كاد يفطر الدمع من عينيها وبنفس القوة التى خافتة بها

Looloo
www.dvd4arab.com

حين كان يثور وجدت نفسها ، وكان الآية انقلبت ، وكأنها العملاقة الضخمة وهو الدودة الزاحفة ، وجدت نفسها ترثى له دون ارادتها ، وعملت الكلمات واللهجة التى كان واضحا انها صادقة وان قائلها يعنيها حقيقة ، عملها فى الحال ، واحمر وجه سناء تأثرا وحرجا ، ولم تدر ماذا تفعل ولا ماذا تقول ، حرجا وارتباكا لايدانيه الا حرجها وارتباكها يوم أحسست أن محمد الجندى أهانها أكبر وأخطر وأول اهانة من نوعها وجهت لها فى حياتها ..

كل ما استطاعت أن تفعله أنها غمغمت معتذرة ثم غادرت الحجرة بسرعة قاصدة التواليت لتنهى الموقف ، بالضبط نفس ما فعلته يومها .

وبينما كانت تصلح (فورمة) شعرها بيدها بينما عقلها تائه تتجاذبه انفعالات متضاربة خفية كان مركز الخطر الغريزى فى نفسها يتخذ قرارا بلا حيثيات أو أسباب أو دوافع ولكنها كانت مصممة عليه بقوة : أن تنهى كل انشغال فى نفسها بالجندى سواء أكان تقل دمه أو قبح ملامحه أو فساد أخلاقه أو ذلته ، وفى الحال.

وحين عادت الى البيت لتجد المناقشة التى تكررت كثيرا فى الأيام الأخيرة بين أمها وهى تحاول أن تغرى أسامة بتناول الطعام واسامة وهو يرفض ويلح فى الرفض ، المناقشات التى لم تكن تنتهى الا بتدخل سناء واحتضانها لأسامة وعبثها بشعره وتغيير المنطق الذى تحثه به حتى يرضى أسامة فى النهاية أن يبتلع بضع لقم أخرى اكراما لخاطر أخته . حدث نفس الشىء فى ذلك اليوم ، ولكنها ، وذراعها يضم أسامة ويدها تعبث بشعره فطنت الى خاطر لم يطرق عقلها قبلا ، ان ما يحدث لأسامة والاضطراب الخطير الذى اجتاح حياته بعد حرمانه من الامتحان ان هو الا ثمن « لنظافتها » ثمن لم تدفعه هى ولكن تحمله وسحق به هذا الصبى الذى لا ذنب

له . انه كالنبات النامى لابد له من الحصول على الماء والغذاء والا هلك ، ولابد لأهله أن يوفروا له هذا وبأى ثمن وبأى وسيلة فهو كالنبات لا يهمه سوى مطلبه من الغذاء ، لا يهمه أبدا نوع المصدر . ترى هل يغفر لها الآن أو حين يكبر ، وهى المسئولة عنه وعن عائلتها الصغيرة انها جعلته يقاسى من ضربة معطلة قاصمة فقط لتظل فى نظر نفسها وفى نظر الناس محترمة نظيفة . انها تعرف آباء وأمهات يحللون الحرام ليوفروا لأولادهم الغذاء والكساء، وربما محمد الجندى فى كل قذارته لا يفعل أكثر من أن يوفر للجيش الجرار الذى أوجده على سطح الأرض حاجته ، بمعنى آخر هو يضحى بذاته ويلوثها لينقذ أولاده ، أيهما اذن أكثر نظافة ؟

لقد أمضت ساعات الصباح تعطى الجندى دروسا فى النظافة والصواب والخطأ ، لماذا لا تواجه نفسها الآن كما واجهته وتعترف بالمعنى الحقيقى لما فعلته . أليس معناه الحقيقى أنها كانت أنانية الى درجة دفعتها للتمسك بذاتها وقيمها حتى ولو أدى الأمر الى تشريد أخيها الصغير وابنها وحبيبها الوحيد ، وأليس معناه الحقيقى أيضا أن محمد الجندى اقل منها أنانية بل هو ملاك اذا قيس بها ، مسيح ، ضحى بذاته ولوثها ومرمطها من أجل أن ينشأ أبناؤه الذين يحبهم نظافا صالحين !

أفكار تطرق عقلها لأول مرة وتقلب تفكيرها رأسا على عقب وتجعلها تغوص وتغوص فى التأمل على هدى هذه الخواطر . اننا حلقة واحدة من سلسلة طويلة نصل فيها بين آبائنا وجدودنا وبين أبنائنا وأحفادنا ، ونفعل هذا برغمنا لانه وضع لم نستشر فيه فقد خلقنا به مثلما خلقنا بما ورثناه عن آبائنا وأجدادنا من علامات وبما سنورثه لأبنائنا وأحفادنا . من أجل هذا نحن لا نملك أن نفكر فى أنفسنا كأنفسنا فقط وانما علينا أن نفكر فيها باعتبارها جزءا من سلسلة وهمزة الوصل بين جيل مضى وجيل مقبل بحيث نعى ان القرار الذى نتخذه لا يخصنا وحدنا ولكن سوف أعمق

www.dvd4arab.com

التأثير فى حلقات السلسلة من بعدنا · وأولئك الذين يفكرون فى أنفسهم « كأحرار » « كانا موجود » « كانا كالكون » « كانا البداية والنهاية » اناس مخرفون يتجاهلون ألف باء الوجود الانسانى ، بمعنى أدق يقطعون بهذا النوع من التفكير أنفسهم من سلسلة البشر ، يصبحون كالسيقان والأذرع المبتورة عمرها محدد بعمر خلاياها ، فى حين انهم وهم أعضاء ومكونات فى السلسلة البشرية عمرهم يبدأ قبل مولدهم بملايين السنين هى عمر البشرية قبل وجودهم وعمرهم يظل ممتدا بعد موتهم بملايين السنين هى عمر البشرية من بعدهم · من المهم جدا اذن حين نتحدث عن أنفسنا وقيمنا والحلال والعيب واللاعيب بالنسبة الينا أن نضع فى اعتبارنا انها ستكون كذلك أيضا بالنسبة لأبنائنا ومن بعدهم بالنسبة لأحفادنا ··

- ١٦ -

لكى أكون صادقا أحب أن أقول هنا ان أفكارا كهذه ، وبمثل هذا الوضوح والتجريد لم تخطر لسناء ، هى فقط أحست رغم طول جلوسها للتفكير انها كانت يجب عليها أن تراعي أخاها أسامة وتضعه فى اعتبارها وهى تحدد ما يجب عليها سلوكه وربما الفارق بينها وبين محمد الجندى أن الأخير وضع أولاده وزوجاته فى اعتباره ، وربما لهذا تلوث هو بينما بقيت هى فى نظافة الصينى والكريستال ··

أردت فقط بايراد تلك الأفكار أن أتعمق قليلا فى الحيرة التى تملكتها وفى الاحساس العام الذى سيطر عليها وخلخل من ايمانها الراسخ فى الصباح · آنذاك كانت تؤمن انها على حق لا شك فيه ومحمد الجندى على باطل لا شك فيه أيضا ، والآن وفى المساء وبعد أن احتضنت أسامة وشعرت بجسده الصغير الدافىء كتلة حية مجسدة وملموسة بدأ الشك يتسرب الى ايمانها ذاك ، ولم تعد واثقة كل الثقة انها الأحسن والأنظف والأكثر شرفا وسموا ··

Looloo
www.dvd4arab.com

والشك ، هذا الشعاع الخفى الذى لا يمكن اذا تسلط أن تصمد له أقوى الحقائق وأكثرها صلابة ورسوخا ، ذلك الشك الذى بدأ على هيئة تساؤل خطر لسناء بعد ظهر ذلك اليوم ، لم يلبث ، بمضى بضعة أيام أن اجتاح كل آراء سناء ومعتقداتها وحقائقها الصلبة الراسخة الى درجة أنها فى ساعات كانت تفقد القدرة تماما على التمييز بين الخطأ والصواب ، ففى كل صواب أكيد تفكر فيه كانت تجد خطأ واحتمالات خطأ ، وفى كل خطأ كانت لا تعدم ان تجد صوابا • تبلبلت تماما ، وكأنما بفعل فاعل انفكت كل مكونات حياتها وشخصيتها الى آلاف الأشياء الصغيرة ، والمواقف الصغيرة والقضايا الصغيرة ، والعيب أصبح بقدرتها ان تحلله الى عشرات الأشياء التى تجد فيها العيب وعشرات الأشياء التى تجد فيها اللاعيب ، وفى الحرام أجزاء كثيرة من الحلال وفى الحلال مناطق بأسرها حرام ••

وضع ما كان باستطاعتها أن تواجهه لفترة طويلة فالعقل فيه لا يحتمل وقد ينقصم فى أية لحظة لثقل ما يحمله • وهى مثلها مثل كل الناس ، تواجه فى كل لحظة ودقيقة بموقف يتطلب منها أن تختار فيه جانبا ، فأى جانب تختار وميزانها نفسه مفكك تماما ، والكفة فى ناحية والأوزان متناثرة هنا وهناك والمؤشر يعطى القراءات على مزاجه ••

فى تلك اللحظة كانت تلجأ مستنجدة الى أمها لا لتسألها النصح والمشورة وانما وهى الخبيرة العليمة بها ، كانت كلما ووجهت بموقف سألت نفسها ترى ماذا كانت تفعله أمى لو وجدت فى مكانى وقياسا على تصرفها تتصرف ، تصرفات كانت أشياء فى نفسها تضيق بها ولكنها لم تكن تملك سواها •

فى تلك الأيام أيضا كان واضحا ان الحظ خدمها حين جعل محمد الجندى يتصرف كما لو كان يحافظ بدقة على الوعد الذى

قطعه على نفسه • كانت تحس انها فرصة من السماء أتيحت لها كى تستطيع أن تجمع شتات نفسها المبعثرة وتعود كاملة متكاملة كالعهد بها مرة أخرى • حادثة أخيرة وقعت ، ولكنها حمدت الله أيضا على انها مرت بها بسرعة خاطفة ودون أن توقعها فى مأزق يحتاج الى أعمال فكر وقيم ، كانت قد خرجت الى التواليت لاصلاح ما أفسده اليوم والعمل من زينتها استعدادا لمغادرة المصلحة والسير فى الطريق ، وحين عادت وهمت أن تغلق الدوسيه وجدت ورقة صغيرة استرعت انتباهها بلونها الوردى ، ورقة صغيرة فى حجم علبة السجائر وعليها هذه الكلمات : أنا متأكد أن حبى لك حب يائس من طرف واحد لا أمل عندى فيه ولا أطمع ولا أطلب من الله أى شىء منك ولكنك تسببت لى من أول لحظة رأيتك فيها فى ارتباك شديد حدث لى فى حياتى وقاربت أن أنتحر لأجله • صدقينى قبل أن تضيع الفرصة وتتحملى الذنب لهذا كل ما أرجوه منك أن تقبلى أن أقابلك بالخارج فى أحد الكازينوهات المطلة على النيل لأفضفض لك عن نفسى فأنا أشعر بالراحة التامة حين أتكلم معك حتى وان لم تتكلمى أنت • أرجوك وحياة أخوكى العزيز أن لا ترفضى رجائى الأول والأخير ولن أضايقك أبدا بعد هذا • وأتسبب لك فى شىء • عبدك •• محمد الجندى •

قرأت الورقة بلا اضطراب أو تردد ، وقبل أن تنتهى منها كانت وكان شيئا لم يحدث لها أو تفككت للحظة أجزاء عقلها وموازينه اذ قررت القرار فى الحال ، وغادرت مكتبها ، فى حضور الجميع ، ذهبت الى مكتب الجندى ومالت عليه وقالت بهمس حاسم لا راد له :

ـ اسمع يا محمد أفندى •• انت يا اما عاوز تودى نفسك فى داهيه •• وأنا بانذرك أهه دى آخر مرة أسمح لك فيها انك تفكر فى بالشكل ده واعمل حسابك المسألة دى مش بالعافية دانت لا

Looloo
www.dvd4arab.com

تتسخط قدامى قرد والا تموت نفسك مليون مرة ولاح يهمنى . أنا لا حبيتك ولا بحبك ولا باقبلك واذا كنت جدع صحيح نفذ كلامك وانتحر . وده آخر كلام لك .

وبمنتهى الهدوء عادت الى مكتبها وكان شيئا لم يحدث وأدخلت الأوراق المهمة فى الدرج وأغلقت عليها ، وعلقت حقيبتها فى كتفها وغادرت الحجرة ..

ولم تراجع نفسها لما قالته أبدا ولا صدرت من ضميرها كلمة تأنيب فاذا كان ثمة شخص فى العالم كله هى متأكدة من رأيها فيه وموقفها منه فهو الجندى وهو الكلام الذى قالته له والذى عبرت فيه بصراحة كاملة عن رأيها فيه وفى « عواطفه » .

يومان مضيا على هذا الحادثة أو ثلاثة لا تذكر . ولكن المؤكد انها أيام قليلة جدا مضت . وكاد اليوم نفسه يمضى ، يوم كانت سعيدة فيه بلا شك ، اذ كان الزملاء الأربعة غائبين ، سليمان لمرضه وأحمد الطويل لانتدابه للعمل لمدة يومين خارج المصلحة وصفوت أفندى منذ العاشرة ذهب الى مراقب المستخدمين فى لجنة لم تحفل سناء بمعرفة اسمها ونوع عملها ، وخرج معه محمد الجندى الذى لم تلتق عيناه بعينيها منذ الورقة الوردية على أن ينجز شيئا ما ويعود وقد خرج وهى منقبضة النفس لفكرة عودته وقضائهما بقية اليوم وحيدين فى مكتب خال ، غير انه لفرحتها لم يلبث أن أرسل خفاجة الساعى ليدخل أوراقه فى أدراجه ويحمل له علبة سجائره ومفاتيحه وولاعته ، علامة أكيدة انه قرر « التزويغ » .

جلست سناء تنعم بوقت تمنته كثيرا اذ طالما حلمت بأن تحدث معجزة تضعها فى صفوف كبار الموظفين الذين لهم الحق فى حجرات خاصة وتليفونات خاصة . ولم يك لديها عمل عاجل يذكر ، ولولا خجلها من فكرة أن تنتهز الفرصة وتزوغ هى الأخرى ما ترددت

فى تنفيذها . وبينما هى تفكر فى طريقة توفق بين خوفها من الموقف المخجل أمام صفوت أفندى فى الغد وبين رغبتها فى مغادرة العمل ودخول احدى حفلات الصباح السينمائية ، بينما هى فى هذا وجدت الباب يدق والداخل عبادة « بك » . صبح وسلم وسأل عن الجندى فأخبرته بما حدث وعن صفوت أفندى وأحمد الطويل وسليمان بالتفصيل أجابته عن سبب غيبة كل منهم على حدة . بدا عليه الهم والقلق حينئذ ، وبرطم بما معناه ان اليوم الخميس والغد أجازة والتصريح اذا لم يستخرج اليوم كلفه مبالغ طائلة . أخيرا واجهها بالسؤال الذى كان باديا انه يفكر فيه مذ دخل الحجرة ووجدها خالية الا منها ، فسألها ان كان باستطاعتها أن تستخرج له التصريح . ودون تفكير اجابته بأنها لا تستطيع ، فليس لديها تصاريح فاضية وحتى لو كان لديها فهى لم تزوال العملية الا بحضور زملائها والباشكاتب ، ثم ان الأختام مقفول عليها فى درج الأخير .

وكانت تعتقد أنها سدت كل الأبواب بطريقة لن يملك معها الرجل الا الاستئذان منها ومغادرة الحجرة . ولكن بدا أن هذا آخر شىء ممكن أن يفكر فيه ، وانه من الصنف المثابر العنيد الذى لا ييأس أبدا . قال لها :

ـ أما عن التصاريح الفاضية فأمرها بسيط .

بكل بساطة صفق ، ودخل خفاجة فطلب منه تصريحين أو ثلاثة فاضيين ، وتلكأ خفاجة فاشار له عبادة بك اشارة ذات معنى طالبا منه أن يذهب ويشتريها حتى ان كانت تباع فهو مستعد أن يدفع فى كل منها جنيها .

وفى أقل من دقيقة عاد خفاجة بالتصاريح ، فأخذها الرجل وتأملها ثم بسطها على المكتب أمام سناء واستدار الى خفاجة قائلا :ـ

Looloo
www.dvd4arab.com

— فيه حاجة تانية يا خفاجة عشان تاخد الورقة بخمسة حتة واحدة ·

— تحت أمرك يا عبادة بك من غير أى حاجة والله يكفينا طرف سعادتك ·

— الأختام يا خفاجة وامضاء الباشكاتب ·

— أجيب لسعادتك الباشكاتب بنفسه هوا ··

وهذه المرة استغرق احضار الباشكاتب « بنفسه » خمس دقائق كاملة ·

جاء الرجل وقد قطع اجتماع اللجنة لاهثا ، وبسرعة أنهى مهمته فقد وقع التصاريح على بياض وختمها وطلب من سناء أن تملأها وبعد أن تنتهى تذهب الى مدير الادارة وتحصل على توقيعه الكريم ، كذلك أخرج لها دفتر القيد لتقييدها ·

أما بالنسبة لعبادة بك فقد طلب منه أن يمر يوم السبت « ليسلم » على محمد الجندى ، مؤكدا انه يجازف باعطائه التصريح قبل السلام على الجندى ولكنه يفعل هذا اعتمادا على ثقته الكبيرة فيه · وأكد له عبادة انه حتما سيفعل وطمأنه بقوله انه رجل رقبته فى أيديهم ومن العبث أن يحاول اللعب بذيله معهم ·

وعلى عجل أيضا غادر الباشكاتب الحجرة ، وظل خفاجة واقفا بضع لحظات وكأنما يؤكد دوره ووجوده ثم حين أحس أن وجوده نفسه غير مرغوب فيه من الزبون استأذن خارجا طالبا من سناء أن تدق الجرس فقط اذا لزمها شىء ·

وهكذا وجدت سناء نفسها وقد فتحت على مصاريعها جميع الأبواب التى سدتها ، ولم يعد أمامها الا أن تملأ خانات التصريح او تفتعل حجة ما وترفض ·

وطاوعها عقلها أخيرا على افتعال حجة ، وقالت انها غير خبيرة فى ملء التصاريح وان من المحتمل جدا أن تخطىء فيبطل مفعول التصريح وانه لهذا السبب يستحسن أن ينتظر « الأستاذ » عبادة ليوم السبت ليملأها الجندى الخبير بها ·

هنا تغيرت لهجة عبادة تماما ، وبعد مقدمات طويلة دقت قرون الاستشعار فى نفسها معلنة انه اقترب جدا من المنطقة الخطرة التى كانت تحدثها نفسها منذ اللحظة التى رأته فيها انه سيتقرب منها ويحاول · وبالتحديد لم تصغ بوعى الا حين بدأ يقول :

— أنا فاهم ازاى واحدة ذكية مدردحه زى حضرتك قاعدة ساكتة وهى شايفه ناس أغبى منها كتير وأقل منها كتير وهم عمالين يبلعوا فى بطونهم اللى ما بتتمليش · دلوقتى حدش شايفنا · حدش سامعنا · انتى عندك أمر من رئيسك ان تملى التصاريح ، هو المسئول وهو اللى قالك وما عليكى الا التنفيذ ، فيها حاجة دى ، مافيهاش حاجة أبدا · أنا ليكى على أسكت خفاجة والباشكاتب سكوت أبدى ، ولا هم ح يعرفوا انك خدتى ولا الجندى ولا حد ح يعرف ، ودى فيها مصلحة متبادلة ، بدل أنا ما أدفع ١٠٠ جنيه تتوزع على سبعه والا تمانيه والا عشره ح أدفع سبعين الباشكاتب وخفاجة عشرين وانتى لوحدك خمسين ، ودول تصريحين يعنى انتى لوحدك ح تطلعى بميه ، ميت جنيه قد ماهيتك سبع تشهر ح تاخديهم من غير ما تتحملى أى مسئولية ، لمجرد انك تكتبيهم وكل المطلوب منك انك تكتمى على الحكاية وماتقوليش للجندى ولا لحد ،

looloo
www.dvd4arab.com

أظن اللى يرفض حاجة زى كده اسمحيلى بقى يبقى ما يستاهلش المكتب اللى قاعد عليه ·

وكأنما استمرارا للحديث مد عبادة بك يده وفتح درج مكتبها فتحة ضيقة وأخرج من جيبه رزمة أوراق من ذات الخمسة جنيهات مثبتة معا « بأستك » البنك ، رزمة منتفخة مغرية كالصفحات المتراصة لكتاب ثمين وقد يكون ألف خاطر وخاطر قد دار فى عقل سناء ، وقد يكون الأمر وكان خاطرا واحدا لم يدر فالدوران السريع يبدو كالثبات المقيم · والألف خاطر حين تدور فى جزء من الثانية لا تترك فى العقل أو التصرف أثرا وتبدو وكأن خاطرا لم يدر ·

كل ما حدث أن القلم فى يدها كف عن الكتابة وألقت نظرة عابرة سريعة على الرزمة فى قاع الدرج ثم عادت تحدق فى خانات التصريح وقد شل عقلها تماما ، ولم يبق متحركا فيها وفيه غير تساؤل واحد ظل يدق باستمرار فى الحاح عنيد ، كجرس الباب حين يدقه صاحب دين لحوح ·

كان التساؤل هو · ماذا يحدث لو أخذتها · تساؤل هكذا يلقى ويعود يلقى دون أن تنتظر اجابة عليه · ماذا يحدث لو أخذتها ؟ ماذا يحدث ؟ ماذا يحدث ؟

كل ما كانت تريده هو مهلة خاطفة تستطيع بطريقة ما أن توقف هذا التساؤل المتواصل المزعج وتفكر فيها ، ولكن بدا وكان عقلها نفسه لا يريد هذه المهلة ولا يريد أن يفكر ويريدها أن تتصرف

بوحى من غرائزها البدائية الأولى · الغرائز التى تنجذب الى الدفء والنور وتهرب من الظلام والبرد ، التى تطمع وتستنكر على الآخرين الطمع ، الغرائز التى تنجذب الى الأشياء وتنفر من الأشياء لا بحسب قيمها العليا ومعانيها العميقة وانما بحسب قيمها الظاهرة المحسوسة ومعانيها التى تتلخص فى معنيين اثنين ·· أهذا الشىء يضر جسدى حتى أهرب منه أم يفيده حتى أحصل عليه ·

وبحكم هذه الغرائز لو كان لص قد دخل الحجرة فى ذلك الوقت لاستماتت سناء دفاعا عن الرزمة ، بحكمها كانت قد أصبحت ملكها وبحكمها أيضا قد أصبحت المشكلة لا أن تأخذها أو لا تأخذها وانما هى كيف تدافع عنها وتمنعها من التسرب الذى قضاه يفتنى ويثرى ويشترى الذمم التى تضاعف غناه من حوزتها ·

وحتى حين كف التساؤل الملح عن التردد وأصبح بامكانها أن تستعمل عقلها ، لم تشأ ، بارادتها هذه المرة أن تستعمله وبسرعة كانت قد كونت لنفسها رأيا يخرج بها من اللحظة المتوقعة ، اذ قالت آخذها أولا وبعد هذا أمامى المتسع من الوقت للتفكير بحيث اذا وصلت فى تفكيرى الى أن من الخطأ أخذها فمن الممكن حينئذ أن أردها لصاحبها مهما رفض وأبى ·

وهكذا لم يطل توقف القلم وسرعان ما استأنف تسديد يحدث ، وانها لم تر أو تسمع أو تلاحظ أمرا غير عادى ·

ولعل عبادة بك بحكم خبرته الطويلة كان يقرأ تفكيرها

www.dvd4arab.com

الخانات وهى مصرة ومقتنعة ومتصرفة على أساس أن شيئا ما لم كالكتاب المفتوح ، فلم تكن هذه أول مرة يتولى فيها افساد ذمة موظف ولن تكون الأخيرة اذ بصرف النظر عن أنها بعض عمله فقد تربت لديه هواية قوامها ذلك الجزء من العمل ، هواية ككل الهوايات الشاذة كانت مزاولتها تشيع فى جسده العريض القصير المترهل نوعا من اللذة الشيطانية الوحشية دونها بكثير لذة افساد الفتاة البكر أو الكسب الضخم الحرام فى البوكر والباكاراه • وكان يفخر أن موظفا كبيرا أو صغيرا ، مديرا أو وزيرا لم يصمد أمامه أبدا وأنه يتحدى أن يصمد أحد أمامه ، ولذته الكبرى كانت تبدأ تلوح اذ أنس من هذا الموظف أو ذاك مقاومة او وجده عنيدا مصرا أو لاح وكأنه من أصحاب المبادىء • حينئذ تنشط كل مراكز الابداع والتفكير فى عقل عبادة بك وكلما زادت الصعوبات فى وجهه كلما استبشر بها ووطن نفسه على النشوة العظمى يوم النصر ، اذ هو متأكد دائما من النصر ، والفرق فى نظره هو فارق زمنى محض ، وحتى كلما طال الزمن كلما طال استعذابه للتجربة والهواية •• وكانت طريقته أن يتفحص فى اللقاء الأول ، الشخص ليصدر حكمه المبدئى عليه وهو فخور بأحكامه تلك يتباهى بأن واحدا منها لم يخب ، وبهذا الحكم يخمن نقطة الضعف فى الموظف أهو المال أم النساء أم الترقية أم التهديد ، ثم يجمع بنفسه ، وبالاستعانة باثنين من موظفى مكتبه ما يمكنه جمعه من معلومات ليستطيع على هداها أن يحدد « الكم » بعد أن حدد الكيف • والكم هنا لا يقل أهمية عن الكيف ، اذ هو لا يعتمد أبدا على مركز الموظف أو أصله أو منصبه ، كم من وزراء بكل هيلمانهم اشتراهم بعشوة أو بباقة زهور

معينة استوردها من هولندا وكم من موظفين صغار كلفه شراؤهم آلافا • والنساء رتب ولبابهم طلبات خاصة وتوصيات • والتهديد سلاح نادرا ما يلجأ اليه فهو يحب أن يكون أولا محل ثقة الموظف ، ثقة مطلقة لا تشوبها شائبة • فهو الذى سيودع عنده ذمته ولا بد أن تكون ثقة الناس فيه تصل الى حد يستخدمونه كبنك مضمون لايداع الذمم • وكذلك عاين سناء فى أول لقاء ومن معاينته استنكف طريقة محمد الجندى المكشوفة الخشنة التى لا ذوق ولا فن ، ومع هذا تظاهر باندماجه فيها فقط ليسبر غور هذه الانسانة الجديدة التى لا يعلم عنها شيئا ، وقد علمته الأيام والتجارب أن النساء أصعب فى بيع ذممهن بعشرات ومئات المرات من الرجال ، بل المرة الوحيدة التى فشل فيها وخاب كانت أمام احدى الموظفات الكبيرات . كثيرا ما استعمل سلاح الحب اذ هو يعرف أن نقطة الضعف الوحيدة الخطيرة فى أية امرأة هى الحب ولديه لهذا عشرات من الشباب المدربين القادرين على ايقاع أشرف نساء الدنيا ، تماما مثلما لديه عدد من الجميلات من كل جنس وملة قادرات على ايقاع أشرف رجال الأرض ، والغريب أن معظم هؤلاء وأولئك هواة لا يتقاضون اذا تقاضوا الا ما تكلف المغامرة من مصاريف •

ومما حدث يومها حيره أمر سناء ورأى انه مقبل على مغامرة صعبة مثيرة وغادر المصلحة يومها وهو يحاول أن يصدر حكمه المبدئى ، مفاضلا بين طريق الحب وطريق المال وثمة شىء يؤكد له أن الطريقين لا يصلحان وأنه لا بد أن يبتكر طريقا جديدا لهذا

Looloo
www.dvd4arab.com

الجيل الجديد الذى دخل الحكومة حاملا معه قيما جديدة وعقليات وافكارا ليس من السهل التغلب عليها ٠

وكان بعد تفكير طويل ودراسة قد انتهى الى حل سببه استحالة مواجهة ذلك النوع الجديد بالمساومة على الشراء سافرة ووجوب اللجوء الى أسلوب غير مباشر ينتهى الى توريط ، وأحد الاقتراحات التى فكر فيها أن يفتتح ناديا ثقافيا يضم اليه سناء ومثيلاتها وعضوات من صديقاته يستطعن بالاحتكاك والدعوات وغسل المخ والتلقين أن يفككن شخصيات هؤلاء الفتيات المتماسكة المترابطة ككتلة واحدة تضم قيمهن جميعا ، وكلها قيم متحدة واحدة الحرام فيها حـــرام تحت مختلف الظروف والأحوال ، والحلال أيضا واحد ، والعيب فى العمل مثله مثل العيب فى الشرف ، وما يعيب فى البيت يعيب أيضا فى المصلحة ، كتلة مترابطة واحدة فرق كبير بينها وبين قيم الرجال الموزعة على أدراج ودوسيهات بحيث يحيا الرجل صادقا باكثر من مقياس وأكثر من شرف وأكثر من حلال أو حرام ، ويستدعى اذا اضطرته الحاجة المقياس الذى يناسبه ٠٠ اذ اكتشف أن ابنه يدس لأخيه عند أمه عاقبه بشدة واذا ضبط نفسه وهو يدس لزميله عند الرئيس برر وشرح وأفاض فى الشرح ليخرج نفسه منها كالشعرة من العجين ٠ أبدا ليس مثل الرجل الذى باستطاعته أن يفقد احدى قيمه دون أن يؤثر هذا على غيرها من القيم ٠٠ باستطاعته أن يكون زئر نساء ولكنه فى نفس الوقت تجده صادقا وشجاعا وأمينا بل ربما تجده أيضا شاعرا ٠ ومن هنا تنشأ الصعوبة ومن هنا تعلم عباده بك ألا يطبق على النساء ، على عكس ما يفعـل بالرجـــال ،

قاعدة واحدة اذ قد ثبت له أن كل فتاة أو سيدة حـــالة بمفردها لا تنجح معها القواعد ٠ وحتى وهو يفكر فى مشروع النادى كان غير واثق أبدا أن سناء بالذات ممكن أن يدب الى نفسها من هذا الطريق ٠

كانت المسألة فى رأسه مجرد مشاريع ودراســات لمشاريع وكان مقدرا أن الأمر سيستغرق وقتـا وأنه وطن نفسه على هذا ومع ان مجيئه اليوم كان بمشورة الجندى ونصيحته كما سنعرف الا أنه جاء ولا فكرة لديه عن خطوة ما يمكن أن يخطوها تجاه سناء ٠ ماذا حدث اذن حتى جعله يقدم على هذا التصرف الذى كان كفيلا ، لو لم يكن متأكدا تماما من نجاحه ، بايداعه السجن بلا ابطاء ٠ الحقيقة أنه هو نفسه لم يكن حتى تلك اللحظة يملك اجابة شافيه ، ولكنه مجرد شبح عن له وصوب تجاهه وكان هو أول من فوجىء بالاصابة المباشرة ٠ أما الشبح فقد كان فى كلمات سناء الأولى ، تلك التى أخبرته بها عن سبب تغيب الآخرين وليس فى الكلمات الأولى بالضبط ، ربما قبلها بقليل اذ كان يتوقع بعد الذى حدث فى آخر مرة كان بها فى المكتب أن تلقاه سناء مواصلة نفس الموقف منه ، تلقاه باشمئزاز واضح أو خفى ولكنه كان لابد أن يكون موجودا ٠ غياب هذا العنصر دفعه للتساؤل والشك ، وجاءت الكلمات الأولى لاتحمل ضغينة واضحة أو خفية ، احساسه صحيح اذن ٠ وحتى اعتراضاتها والعقبات التى أقامتها أحس أنها لم تقمها فى وجهه هو بقدر ما أقامتها لنفسها ، لتمنع نفسها ٠ كانت اذن تريد أن تتكفل ظروف خارجة عن ارادتها بالرفض ٠ طيب ، وحين نرفع هذه الظروف الخارجة ونترك ارادتها عارية بلا دروع ، هى والموقف وحدهما ،

Looloo
www.dvd4arab.com

ماذا يحدث ؟ حدث الشيء الذى توقع بالضبط أن يحدث ، وقفت ارادتها لا تملك الحركة الى الامام أو الخلف عاجزة عن التقدم وعاجزه فى الوقت نفسه عن التراجع • واحتاج الوضع حينئذ لدفعة تحركها الى الامام قبل ان يفيق الوعى ، قبل أن تستجمع نفسها المشتته وتتخذ قرارا لابد كان سيؤدى الى التقهقر الحاسم المفاجيء • وجاءت هذه الدفعة حين أمرها صفوت أفندى رئيسها بكتابة التصاريح • حينئذ وبخطى وئيدة بدأت تتحرك الى الامام ، ولكنها تتحرك فى اتجاه أداء الواجب فقط وملء الخانات ولكن من قال ان هذا الاتجاه ليس هو نفسه اتجاه بيع الذمة ، وهل حدث لعبادة بك فى كل تاريخه الحافل وثراءه ، هل حدث أن تحرك موظف أو موظفة وتقدم واضعا بيع ذمته كهدف ؟ على الاطلاق لم يحدث شيء من هذا ، انه دائما يتحرك موهما نفسه مؤكدا ومقسما ومؤمنا ايمانا لا يتزعزع أنه اذ يتحرك فانما ليؤدى واجبه فقط •• لينجز عمله • عسكرى المرور الذى يقبل القروش العشرة حتى لا يحرر لك محضرا يوهم نفسه ، بأدلة يصنعها أو يصطنعها ، أنك فعلا لا تستحق المحضر وأنه بالغائه انما يؤدى واجبه الذى يمليه عليه ضميره وما العشرة قروش سوى مبلغ تطوعت أنت بدفعه سذاجة منك وعبطا اذ كان هو على أى الحالات لاينوى تحرير محضر ، كذلك الوزير الذى يقبل دعوتك وهو عالم أنك فى حاجة غدا لتوقيعه يقبلها وهو قد انتوى نية خالصة مخلصة أنه وان كان قد قبل الا أنه لن يوافق غدا ويوقع الا اذا كنت فعلا قد استوفيت شروط الموافقة ، وحين يأتى الغد وتعرض أوراقك مع أوراق الآخرين ويجد أنك مثلهم مستوفيا

للشروط أو معظمها يؤكد لنفسه أن اختياره لك دونا عن الباقين لن يخلو من حكمة اذ هو يعرفك حق المعرفة ويعرف أنك لن تخدع الحكومة ولن تسف أموالها، بينما هو لا يعرف الآخرين ولا يضمنهم، حينئذ ولأجل مصلحة الدولة والحكومة ، بدافع هذه المصلحة العليا وحدها يؤشر على ورقك بالموافقة وعلى الآخرين بالحفظ مؤمنا أشد الايمان أنه بهذا العمل قد أدى أكبر الخدمات وأجلها للبلاد وللوطن ••

لمح الرجل سناء اذن وهى تشرع فى الكتابة وعلى سيمائها ما يؤكد لنفسه أنه يؤدى الواجب الحلال الزلال الذى لا غبار عليه • علامة يعرفها جيدا اذ الخبرة قد علمته أن الشخص حين يبدأ فى اقناع نفسه أن ما يفعله أمر لا غبار عليه يكون فعلا وحقيقة قد بدأ يدافع عن الشيء الذى عليه غبار ، مؤكدا لنفسه أن لا غبار عليه البتة ، حينئذ عليك أن تضرب بسرعة ضربتك القاضية التى تطبب كفة الميزان الى الأبد فليس من المصلحة بقاء الشخص طويلا فى تلك المرحلة الحرجة التى « يحاول » « اقناع » نفسه فيها اذ قد يحدث حينئذ والأمر لا يزال نظريا محضا وهو لايزال على البر أن يتملكه خوف مفاجيء أو يتذكر حادثا أو موقفا أو شخصا كان يعتبره المثل الأعلى ويغير رأيه ، وصعب ، بل أحيانا من المستحيل اذا « حرن » الشخص فى تلك المنطقة ان تستخرجه منها أو تستطيع جره • لابد حينئذ أن تشل حركه بوضعه أمام الأمر الواقع و « تلبيسه » التهمة • ولكنها أيضا عملية فى حاجة لحذق كبير ، اذا زاولها الغشيم فمن المحتمل أن يفعلها بطريقة تفزع الشخص وتجعله يفر بجلده هاربا • أما فى يد الخبير فلا خوف عليه ، اذ كل المطلوب منه هنا ان يثمن الشخص بسرعة وحسم ثم وبسرعة وحسم يضاعف الثمن أو يجعله ثلاثة أضعاف بحيث (يغرق) الشخص فيه ، بحيث

Looloo
www.dvd4arab.com

ينتفى من عقله كل تفكير آخر ولا تبقى سوى الرزمة المهولة التى لم يتوقع أبدا أنها بهذه الكثرة والضخامة والتثمين هنا لا يعنى قيمة ما يستحقه الشخص ولكنه يعنى على وجه الدقة قيمة ما يطمح هو فى الحصول عليه ، أى بمعنى آخر قيمة ثمنه فى نظر نفسه ٠ وعليك أنت ان تثمنه باغلى ، أغلى بكثير مما توقع أو يستحق ، ولا تخشى الخسارة أو بعثرة نقودك فأنت لاتشترى امضاء لمرة ٠٠ أنت تشترى شخصا باكمله ووظيفة ونشوذا الى زمن لا نهاية له ، ولهذا فأى ثمن تحدده مهما بدا لك غاليا ومبالغا فيه فهو ، لو كنت من العارفين العالمين كعبادة بك ، رخيص جد رخيص ، سوف يرتد اليك اضعافا واضعافا مضاعفة ٠٠

بحكم الخبرة عرف أن خير ما يفعله أن يسكت هو الآخر ويدعى مثلها أن شيئا لم يحدث ، وحين انتهت وتهيأت لمغادرة الحجرة للحصول على توقيع مدير الادارة كفاها هو مؤونة التعب ، ونادى على خفاجة يكلفه بالمهمة ، ولم ينتظر أن يعود ، آثر أن يتابعه ، بل الحقيقة آثر ان يغادر الحجرة وقد أدرك ان خير ما يفعله هو أن يتركها فورا ليقطع عليها آخر مراحل التردد من ناحية ومن ناحية أخرى لتنفرد بنفسها اذ هى لابد فى شوق شديد لهذا الانفراد ٠٠

وبحرارة واحترام كبيرين سلم عليها وخـــرج ٠ وحين عاد خفاجة بعد قليل وحاول ان ينتهز فرصة وحدتها ليفتح أبوابا للحديث ولم يجد منها تشجيعا يذكر ، سألها أن كانت فى حاجة لشىء من البوفيه تشربه وحين أجابت بالنفى وهى تتفرس فى ملامحه علها تلمح بارقة تدل على أنه أدرك أو يدرك شيئا يتعلق بالرزمة الضخمة التى لاتزال فى درج المكتب ٠ ولم تلمح بارقة تدل على شىء ٠ كان

واضحا فقط انه قبض هو الآخر والنقود التى قبضها تعميه عن رؤية أى شىء آخر ٠ وأدركت سر تلكئه حين قال لها فى النهاية :

ـ أظن عبادة بك وصى حضرتك انك ما تجيبش سيرة لحد ٠٠

وابتسمت بافتعال وأجابت بما يؤكد انه وصاها وانها ستعمل بالوصية ، كل ماهنالك انها تساءلت ببراءة عن السبب الذى يدفعه لهذا التكتم ، وأجابها خفاجة بأنها لاتزال حسنة النية لاتعرف بعد أحوال المصلحة الخفية ، وان عبادة بك انما يفعل هذا ليخفف عن كاهلة ولو لمرة « الضرائب » الباهظة التى يدفعها للكل اذا عرف الكل ٠٠

وطمأنت هذه المحاورة سناء وطمأنت كذلك خفاجة حتى أصبح وجوده فى الحجرة غير ذى موضوع ٠٠

غادرها حينذاك وهو يدعو ، بلا مناسبة ، لسناء بأن يصلح الله أحوالها ويرزقها بعريس ابن حلال ٠ وأغلق الباب وراءه ٠٠

أخيرا ، هاهى ذى وحدها كما تمنت ها هو الوقت أمامها ممتد متسع باستطاعتها ان تناقش فيه كل المشاكل والقضايا ٠٠

واستعجبت حين حاولت ان تجد شيئا يتعلق بالنقود ، أى شىء ، يمكنها أن تفكر فيه بدون جدوى ، بقى عقلها بلا تفكير ، وبلا قلق أو ارهاق ، بلا سعادة أو اكتئاب ، بلا شىء على الاطلاق ، بقى هكذا وقتا ما لا تدرى كم طوله ، وحين بدأ يعمل بدأ يفكر بطريقة لم تخطر لها على بال ٠ من أدراها أن النقود ليست فخا نصب لها ، نصبه لها الجندى وزملاؤه ، من أجل الايقاع بها وفصلها وسجنها كى يخلو لهم الجو ؟

الحقيقة كان الخاطر مفاجئا ولاسعا الى درجة قفزت معها سناء واقفة ، ودون ان تتردد لثانية أمسكت النقود ، كمـــا قرأت فى الروايات ، بمنديلها ، ثم وكأنها فكرت طويلا فى المخبأ السرى ،

Looloo
www.dvd4arab.com

اذ فى لمح البصر كانت قد مدت يدها أسفل الدرج الأوسط لمكتب محمد الجندى ، وهناك وجدت قطعة خشب بارزة كالرف ، وضعت فوقها النقود وعادت الى مكانها لاهثة ..

حتى ان ضبطوها فسيحمل هو التهمة ويقع فى الحفرة التى أراد لها أن تقع فيها ..

وانتظرت ساعة وساعتين ان تأتى النيابة والبوليس دون ان يأتى أحد أو تبدو بادرة خطر . والى ان وصلت الى البيت فى ذلك اليوم كانت قد ضبطت أكثر من عشرين مرة وراحت فى داهية أكثر من مائة مرة وأمسكها سائق التاكسى المتخفى عشرات المرات ..

ووصلت البيت برغبة واحدة ، أن تنام . ودون أن تلحظ أمها استخرجت الرزمة من الحقيبة ووضعتها تحت المخدة ونامت ..

وأيقظتها الأم ساعة العشاء حاسبة أنها مريضة . وبالكاد ازدردت بعض اللقم وهى أثناء الطعام وقبله وبعده تحاول أن تعثر على هاتف واحد من آلاف الهواتف التى اعتقدت أنها لابد مستيقظة لديها ذات ساعة صارخة فيها أن تعيد الرزمة الحرام الى صاحبها دون جدوى .

بدلا من الهواتف كان ثمة احساس طاغ ان المسألة قد حدثت وانتهت ، وان المهم ليس النقود ، المهم هو الخطوات التى سبقت وأعقبت النقود ، خطوات مهما فعلت وارتفعت ودقت رأسها بالسقف وهبطت لايمكنها التراجع عنها .

حسن جدا فليكن ما حدث قد حدث ولتكف نفسها مئونة التفكير .

ومر صباح الجمعة وظهرها وعصرها وهى لاتريد لليوم أن ينتهى ولا تريد العودة للمصلحة أبدا ولكن الليل ما كاد يجىء

حتى بدأ حب استطلاع غير حب استطلاعها العادى . رغبة خبيثة ماكرة فى الاستطلاع تطغى عليها وتتمنى معها أن ينقضى الليل بسرعة لترى ما حدث أو ما يمكن أن يحدث فى المصلحة .

ورغم انها لم تتوقع أبدا أن تجد ما وجدته الا انها ، لدهشتها لم تستغرب حدوثه ، فى الواقع منذ يوم الامتحان وهى لم تعد تستغرب حدوث شىء .. أى شىء .

وجدت سر صفقة الخميس قد تسرب الى الزملاء الأعزاء ، من الباشكاتب ، من خفاجة . أو من عبادة نفسه .. تفصيل لا يهمها فى قليل أو كثير . والغريب أنها بعد برهة وجدت نفسها غير ساخطة ، أكثر من هذا سعيدة بهذا التسرب ، لكان حائطا سميكا كان يفصلها عن سليمان واحمد والباشكاتب ، والجندى قد تهدم من أساسه ، ولم يسخر منها أحد ولم يحاول أحد أن يعايرها ، بالعكس أقبل الجميع عليها ، وكأنها نجحت فى امتحان وانتقلت الى خانتهم ، أو لكأنها الأخت المريضة التى عوفيت وشفيت وانضمت الى العائلة . التحفظ زال والحرص فى المعاملة اختفى والحجرة تحولت الى مكان عذب خفيف الروح يغرى بالاقامة ويمحو الأشجان .

الشىء الغريب الذى لحظته بعد قليل ان الجندى رغم اشتراكه فى موجة المرح العامة ، فى أعماق نفسه كان يبدو مكتئبا حزينا وقد حسبت أن الحالة سببها هو حرمانه من نصيبه فى صفقة الخميس ، ولكنها حين علمت ان أنصبتهم جميعا وصلتهم وكانهم كانوا حاضرين خبر فى حد ذاته أخذ سناء على غرة وجعلها تفطن الى أن الهدف من حكاية اخفاء الأمر عن محمد الجندى والآخرين هو مجرد خدعة من عبادة بك قصد بها أن يبث الطمأنينة فى نفسها حتى تلتف حولها (الحية) . اذن لقد دبر الرجل كل ذلك بهدف ايقاعها ومن المحتمل أنه أشرك معه الجندى والباشكاتب فى التدبير . وحتى اذا كان هذا هو ما حدث فاية أهمية الآن وهى لم تأخذ النقود لبراعة التدبير ، لقد أخذتها لأسباب لا تدريها ، وحتى قبل

Looloo
www.dvd4arab.com

ان تأخذها بزمن طويل من لحظة دق عبادة الباب ودخل وربما قبلها بكثير . فما علينا من هذا كله ، المهم لماذا هذا الاكتئاب الذى يطفو من أعماق الجندى ويطغى على ملامحه .

سالته والحت ، ولم يستطع الصمود ، أخبرها أنها كادت ، منذ ذلك اليوم الذى ألقت عليه فيه خطابها الطويل ، أن تنجح فى تغيير مجرى حياته كله ، وفى انقاذه ، هو الجندى الذى قضى أكثر من ثلاثين عاما يعيث فى الدنيا فسادا ويؤذى نفسه ولا يستريح حتى يتأذى الآخرون ، وأنه من يومها أصبحت له المثل والبطلة ومن شدة ثقته بها تحدى عبادة أن يوقعها وما كان غيابه بالأمس الا لاعطائه الفرصة كاملة . وكان واثقا تماما من فشل عبادة ونجاحها ، أما وقد نجح الرجل ، أما وقد حدث ما حدث فهو لا يدرى لماذا أحس ولا يزال يحس بالحزن والاكتئاب .

ـ ولا يهمك .

قالتها سناء ككلمة عابرة اختارتها بنت لحظتها لتعبر بها عن حقيقة رأيها فى تلك الساعة ، ولم تكن تدرى انها ستصبح بعد هذا كلمتها المفضلة وانها ستظل ترددها مئات المرات والافها كلما حاول أحد أن يلومها أو لمحت بوادر تدل على أنها فى الطريق الى لوم نفسها .

وكان محمد الجندى كان ينتظر هذه الكلمة ليذهب عنه اكتئاب ضاق به ، اكتئاب حديث العهد بنفسه ، غير أصيل ، اقتلعته الكلمة وأعادته فى لمحة الى الجندى كما كان وكما هو كائن وكما من المحتمل أن يظل يكون .

وساد الانسجام التام الحجرة ، وأرسل خفاجة فى طلب مشروبات ، وعلب سجائر فاخرة ، وعزم أحدهم على سناء

بسيجارة فرفضت بغير شدة وحين أعاد العزومة قبلتها وأشعلتها ومضت تجرب باضطراب المبتدئة كيف تمسكها وتجذب أنفاسها وتتفادى الكحة .

وبلا ورقة أو مقدمات ، وقبيل انتهاء اليوم بدقائق ذهب الجندى لمكتبها وانحنى بجذعه كله حتى أصبح وجهه يكاد يلمس وجهها . ولو كان يعلم أن سناء حين ستراه عن قرب هكذا ستتمسك برأيها الأزلى فيه لما اقترب منها كل هذا الاقتراب . المهم انه بكلمات متعجلة متقطعة لم تحتمل سناء أن تظل تنتظره وهو يلوكها ويتلكا فى نطقها أكثر من هذا فسألته :

ـ ولا يهمك .. بس قول فى أى كازينو عايز ..

ـ ايه رأيك فى .. والله بيتهيألى أحسن من التانى ده ..

ـ يا أخى فلقتنى .. كازينو الحمام .. ح تلاقينى بكرة الساعة ستة هناك .

نطقت الجملة وسكتت هنيهة ، فى أثنائها اقشعر جسدها لدى صورته حين مرت بخيالها وهو يهدر هدير الكلب (الرجل) ووجدت نفسها تقول :

ـ والله ايه رأيك ؟ مابلاش الكازينوهات لحسن حد يشوفنا.

وفتح محمد الجندى فاه مدهوشا مروعا مذهولا معتقدا لابد انها أصيبت بمرض أو مستها لوثة اذ لم يكن باستطاعته أن يتخيل أو يصدق انها حقيقة تعنى ما تقول ..

« تمت »

Looloo
www.dvd4arab.com